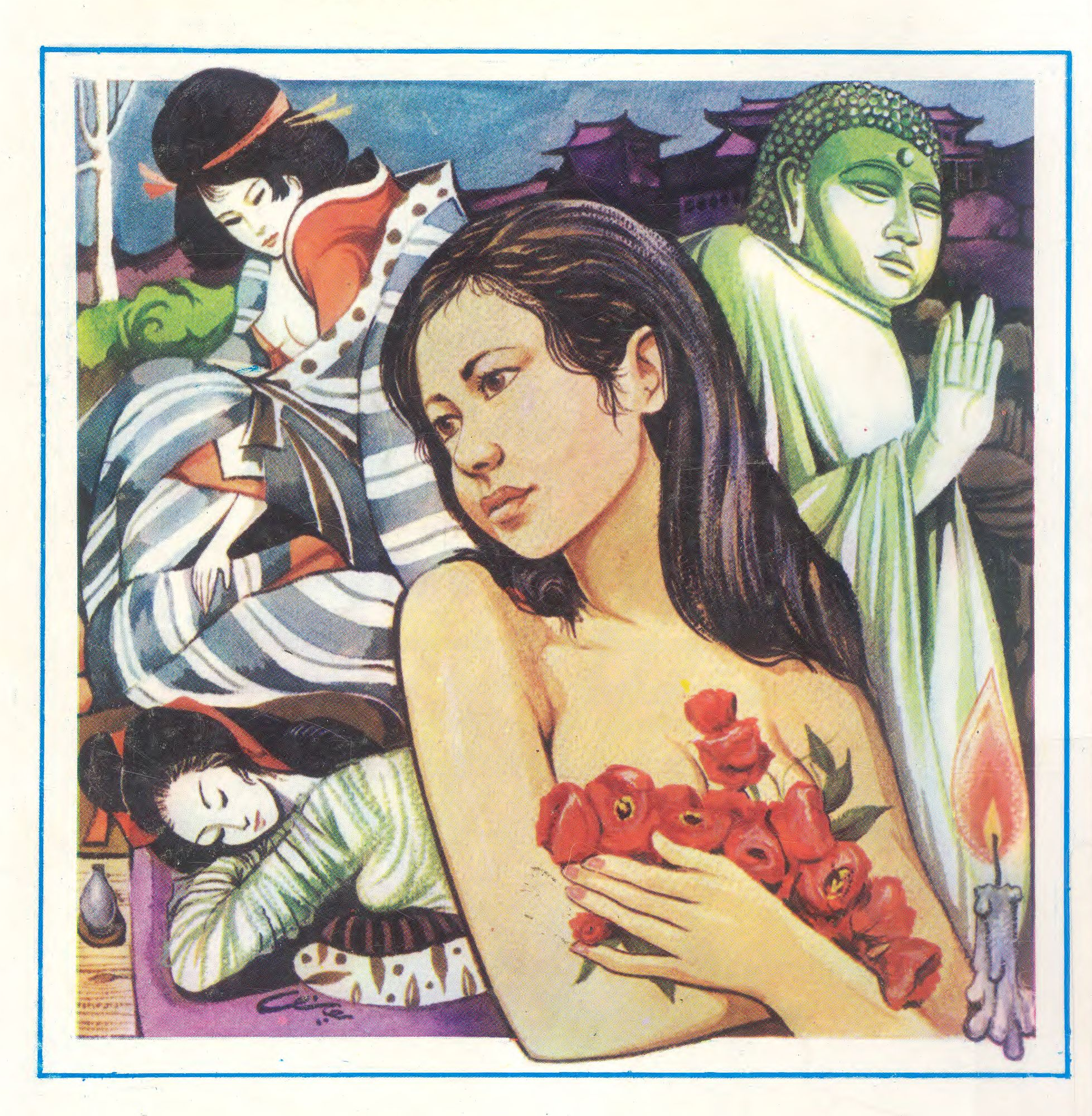
بنات الجيشا

افتحلي قلبك!



يوسف فرنسيس

مكتبة غريب

استاذي [illegible]
الى القلب الابيض الكبير
الذي فتح الاسماع واعطى الامل
لكل من طرق ابوابه..
بالحب والتقدير والاكبار
ولاسرتك العزيزة جدا على قلبي
[illegible]
٨٢

يوسف فرنسيس

بنات الجيشا

افتحي قلبك!

الناشر:
مكتبة غريب
٢٠١ شارع كامل صدقي (الفجالة)
تليفون ٩٠٢١٠٧

((فوميـــــكو))

الغروب فى الخامسة

(فوميكو) تعنى فى اليابان · زهرة الربيع .

وفى بلد يقـدس الورود فى رعاية وحب · ويجعل من تصفيف الزهور فنا يدرس ، تتعلمه الفتيات فى لهفة واخلاص · تصبح فوميكو زهـرة الربيع أجمل كل الزهور لانها ابنة أجمل الفصول ·

★ ★ ★

كانت « شيكوكو » طوال فترة حملها . تذهب الى حديقة « الماريياما »فى كيوتو ·· تمشى وسط الزهور مبهورة . مفتوحة العينين ··

كانت تعشق الورد ···

وعنـــدما اقبل الربيع . كانت شيكاكو ·· قد وضعت ابنـة ·· ودخل زوجها عامل الجلود حاملا باقة من الورد الأبيض ···

وهمست « شيكاكو » فى سعادة أمام الباقة الثمينة ·

ـ فوميكو ··· !

التصق الاسم بالصغيرة كالعطر . ونما معها ·· واعطاها مع الايام الكثير من ملامحه الجميلة العطرة ···

كانت « فوميـــكو » اكثر من طفلة حلـوة . وصبية نضرة . وشـابة حسناء ···

كانت فوميكو فى كل أعمارها اشراقة ربيع لكل من حولها ·· وخاصة للاب الذى هرب من هيروشيما ·· فى محاولة لنسيان كابوس قنبلة ذرية ، قتلت كل عائلته ، وحطمت بلده تماما ·· وبالرغم ان الزمن قد مسح الجريمة ونهضت بلده من جديد فى شجاعة تبنى ناطحات سحاب بدلا من الانقـاض

السوداء التى خلفتهـا الحرب ·· الا أنه لم ينس ·· ! فمئـات الابحــاث والتحاليل التى أجريت عليه .وأثر الاشعاع الذى تسلل اليه يطبق على أيامه كاللعنة ·· ويمتد فى مخاوفه .الى ابنته الحبيبة ، فيسأل كل الأطبــاء خفية وفى فزع شديد ··

ـ هل يمتد الاثر المميت الى « فوميكو » ·· ؟

والبعض يصمت ··

والبعض يهز رأسه فى حيرة ··

وحتى هؤلاء الذين حاولوا ان ينفوا عن ذهنه الفكرة ·· لم يستطيعوا اقناعه تماما !

ولم تفهم فوميــكو . وهى صـبية بعـد ، لماذا كان أبوها يصر على ان تصحبه الى بعض الاطباء ولماذا تصوب اليها أجهزة ضخمة معقدة وتصــور بعض أجزاء جسدها ·· وتؤخذ منها نقط دم . لتفحص تحت ميكروسكوبات غريبة !!

ولانها لم تسمع من زميــلات عمرها عن تعذيب ممــاثل ·· ربطت بين ما يحدث لها . وهيروشيما التى سمعت عن قنبلة غريبة قتلت ناسها . ووصمت من تبقوا أحياء ···

وفى أعماقها البكر لعنت « فوميكو » الحرب ·· أسبابها ·· وأصحابها ··· وكانت كلمة السلام قد رسمت لها معنى خاصا فى أعماقها ···

عالم أبيض ·· كله ثلوج بيضاء . وورد أبيض ·· لا تعرف فيه عيادات اطباء ولا أجهزة معقدة . ولا اشعة أو اشعاعات ·· تستطيع فيه طفلة أن تنمو وسط الورد لا تخاف من طائرة أو قنبلة مجهولة !

ومات الاب ···

وما زالت « فوميكو » تذكر ذلك اليوم ·· رغم تراكم الايام عليه ··

لقد جاء مجموعة من الاطباء ·· تهامسوا طويلا ··

وحملوه الى المستشفى ···

واضطرت الأم ان تصحبها معها بالرغم من صغر سنها ··· فلم تكن لتستطيع ان تتركها وحدها ···

وفى المستشفى استمرت الحركة والاجراءات ··

وخرجت أمها باكية ···

ودخل بعض الرجال فى ايديهم كاميرات راتها فوميكو تبرق ···

وسمعت بعض اصوات الاحتجاج ···

وفى اليوم التالى وأمها تبكى ، سمعت من يقول لها ان صورة زوجها فى صحف الصباح ·· وفى الصفحة الاولى !

وسألت الطفلة فى براءة ···

ـ هل جرت العادة ان ينشروا صور الذين يموتون فى الصفحات الاولى ·· ؟

ونهرتها الأم بشدة ·· واخفت عنها الصحف ···

ولكن الطفلة مدفوعة برغبة عميقة فى الفهم ·· تسللت لتشاهد الصورة المنشورة عند بائعة الصحف ·· كان أبوها الميت يرقد فى الصورة وحوله الأجهزة المعقدة ···

والى جوار الصورة صورة اخرى تعرفها تماما ·· لانها شاهدتها كثيرا من قبل ، هى صورة « هيروشيما » والقنبلة الذرية يتصاعد دخانها كمارد من سحب الموت فوق أرضها ·· !

ومن جديد ، حملت الطفلة مع بعض الرجال الاغراب الى مستشفيات متعددة وصوبت اليها أجهزة اكثر تعقيدا مما الفت ·· واخذوا من دمائها من جديد ·· والأم تقف فى جوارها على مقربة ، مسلوبة الاحساس ·· وان كانت تبدو فى صمتها قد قررت شيئا لان عينيها التقتا بعينى فوميكو المذعورة ·· وأحست الطفلة ان الأم تعدها بان هذا العذاب لن يتكرر ··

استيقظت فوميكو ابان الليل عطشى ·· والتفتت لتوقظ الأم الراقدة الى جوارها ولدهشتها لم تجدها ! ··

نهضت الطفلة فزعة ·· وجرت على الارض الخشبية ·· الى الحجرة الاخرى ·· وهناك كانت أمها راكعة أمام تمثال بوذا ، كانت الأم تصلى فى

هدوء غريب ... وفهمت الطفلة رغم صغر سنها ان أمها فى حوار عميق مع التمثال الخشبى الذى اشعلت له شمعة ووضعت امامه وردة بيضاء وتفاحة حمراء كبيرة ... فتراجعت الى حجرتها ... تنتظر ان تعود أمها .. ويبدو ان انتظارها قد طال فاغمضت عينيها واستسلمت غطشى للنوم :

★ ★ ★

فتحت « فوميكو » عينيها ويد الام تهزها برفق ...

كان الفجر يلمع كمرآة من الفضة بين الاشجار التى نمت الى جوار النافذة ...

كانت « شيكاكو » تبدو متعجلة على غير العادة .. فقد ساعدت ابنتها على ارتداء ملابسها .. واطعمتها قطعة من الحلوى بدلا من افطار كل صباح ...

★ ★ ★

فى الطريق .. ادركت فوميكو ان الأم تسلك الطريق الى (التشى أون اين) .. المعبد الكبير . معبد بوذا ...

وكانت سعيدة .. وهى تقفز لتسبق الأم الدرجات المتعددة .. وشيكاكو خلفها تلهث فى أعقابها ..

دخلت « فوميكو » الى داخل المعبد .. واتجهت الام الى « الهونين » الراهب .. لتركع جالسة أمامه ...

وراحت فوميكو تنظر الى الراهب المهيب . ورأسه الحليق يلمع فى ضوء الشموع التى اشعلت على مقربة أمام تمثال بوذا الضخم ...

وجدت فوميكو نفسها مشدودة الى هذا التمثال .. تتأمل بوذا الذى خيل اليها انه يدعوها اليه بعشرات الاذرع .

كل ذراع بحركة .. كل ذراع تحتوى شيئا .. او تقول شيئا ...

وجدت نفسها تنحنى .. وتركع .. وتتأمل فى دهشة الورود البيضاء تحت قدميه وسط الشمع والتفاح ...

زهور الربيع ·· الزهور التى تسمى باسمها ·· فوميكو ···

وكانت قد سمعت مرة أن بوذا قد تعذب كثيرا فى حياته ···

وسألت نفسها اذا كان قد تعذب أكثر من أبيها الذى مات ··· واذا كان الاطباء قد فحصوه مثلما فعلوا معها ·· وصوبوا نحوه مغداتهم المعقدة ·· واخذوا من دمائه فى كل مرة ما يلونونه أو يفحصونه بالعدسات الغريبة ···

ويبدو انها كانت مستغرقة تماما فى خواطرها لانهـا افاقت فجأة على صوت امها يرتفع فى نشيج طويل ···

كانت « شيكوكو » تطلب من الهونين شيئا ·· وكان الاثنان يلتفتان اليهـا ··· وهـز الرجل راسه فى رفق ·· ولكن فى رفض ·· ولمع رأسـه الحليق فى ضوء الشموع التى كانت تحترق ساعتها بصوت مسموع ···

ولم تفهم فوميكو ساعتها ان الراهب قد رفض طلب الأم التى ارادت ان تهب ابنتها لبوذا ·· !

وحتى بعدها بسنوات لم تسأل فوميكو امها عن تفاصيل الحوار ·· كيف كان السؤال ·· ولماذا كان الرفض ···

اكتفت بالنتيجة ···

وكانت النتيجة ان شيكاكو باعت ممتلكات بيتها الصغير فى كيوتو ·· لتسافر بابنتها هاربة لتتوه بها فى زحام طوكيو ·· المدينة الكبيرة ···

واذا كانت قصة « فوميكو » مجرد بداية او مقدمة خياة ···

فانها من ساعة ان ركبت القطار السريع الى طوكيو ·· لتطل من خلال النافذة على المبانى الضخمة الجديدة ، تستقبلها كعمالقة العصر الحديث ، كانت تدخل الفصل الاول ، من حياتها الغريبة المثيرة ··

★★★

لم ينقض الاسبوع الاول حتى أحست « شيكـاكو » بندم شـديد على مغادرتها كيوتو ·· ان « طوكيـو » المدينـة الكبيرة ذات الفنادق العـديدة والحركة الدائبة ، وحش هائل يبتلع كل شىء ·· الوقت ·· والمال ·· والناس ·· وأدركت « شيكاكو » ومدخراتها تتبخر أنها سرعان ما ستكون طعاما هشا بين فكى الوحش ··· !

وكانت « فوميكو » تستطيع ان تقرأ في وضوح قلق أمها ، وهي تعبر معها الطرقات المزدحمة . والسيارات الفارهة تمرق فيها كالبرق الملون ..
واذا كانت « فوميكو » في صباها المبهورقد سعدت في أيامها الاولى بطوكيو التي بدت لها أشبه بمدينة للملاهي فسرعان ما تسربت الى نفسها مشاعر متضاربة من الخوف والقلق انعكست عليها . من زيارات الأم اليومية الى المتاجر والفنادق للبحث عن عمل . زيارات كانت لا توفق فيها الأم ـ التي كانت تبدو بتجاعيد الارهاق ـ في ضعف عمرها الحقيقي ...

وأخيرا وجدت « شكاكو » انه لا مفر أن تتواضع في طلباتها وتقبل عملا قد عرضه عليها أحد أصحاب المتاجر في حي « جنزا » .. عاملة نظافة ! واقنعت نفسها وهي تذهب في يومها الأول انها مجرد خطوة ، حتى تجد مكانا مناسبا .

ولكن ما حدث أنها بمجرد أن وضعت قدمها في المكان . كانت تعمل من الثامنة صباحا .. حتى الغروب .. تعود في لهفة الى الحجرة التي استأجرتها مع « ريكي » احدى مضيفات ملهى « الضوء الاخضر » بحي جنزا أيضا ...

كان عمل « ريكي » يبدأ من الغروب .. وكانت « شيكاكو » قد اتفقت معها ان تقوم عنها بدفع الايجار نظير رعايتها لفوميكو في غيابها أثناء النهار .. ورحبت « ريكي » بالفكرة ، لان ما كانت « شيكاكو » تسميه « رعاية » بالنسبة لها لم يكن أكثر من الاستلقاء الى الثالثة في دفء الفراش ، ومتابعة الصغيرة وهي تلعب على مقربة .. وهو عمل كان يثير في « شيكاكو » متعا خفية .. فبراءة الصبية كانت تذكرها بما كانت عليه سنوات قبل ان يموت أبوها ، وتعمل في ملهى « الضوء الاخضر » الذي لم يكن يختلف كثيرا عن ضوء المرور الاخضر الذي يسمح بمرور كل أصحاب العربات ! .

وكانت « ريكي » رغم كل ما تعلمته من الحياة ، أو كل ما اضطرتها الحياة أن تسلكه ، شريفة في اعماقها ، كان كل طموحها ان تصبح فتاة جيشا ..

وبالرغم من أن قسوةالحياة حولتها الى فتاة « بار » ، لم تلعن «ريكى» الحياة .. وانما عاشت مستسلمة للواقع ، بدون ان تفقد احلام اليقظة التي ميزتها كصبية .. في المساء كانت تلتقي بعشرات الرجال ، من جنسيات وامزجة واشكال مختلفة ، تسمع احاديثهم الجوفاء ، ومداعباتهم اللزجة ،

تبتسم وتضحك ·· تضحك كثيرا حتى يخيل لمن حولها انها سعيدة حقا لما تسمعه ·· ولكن ريكى كانت قد تعودت ان تحول كل ما يتعس غيرها الى نكته تضحكها ·· وكانت وسيلتها الخاصة بسيطة وغريبة ···

كانت تشرب كأسا واحـدة فى بداية السهرة تكفيها ان تتخيل الرواد الذين يلتفون حولها ، أو تتنقل بين موائدهم ـ الى حيوانات وطيور وتبدأ تسمع حديثهم على هذا الاساس الجديد ·· فهذا جواد ·· وهذا حمار وحشى ·· وذلك طاووس ·· وتبدأ تستمع اليهم وتضحك ·· تضحك لكلمات الحمـار ·· والطاووس ·· ولضحكتها رنين جميل مقنع ! ·

وكان لابد أن تنشأ صداقة حميمة وغريبة بين « ريكى » وفوميكو ··

صـداقة أملتهـا ظـروف الحيـاة والزمالة الاضطرارية فى حجـرة واحدة ···

والاهم محاولة دائبة لريكى ان تستعيد بائسة صباها الذى ضاع ·· وهاهى فرصة سانحة لاستعادته فى الصبية التى تلعب على مقربة ···

وكانت شيكاكو المجهـدة قد تركت مهمـة تعليم وتثقيف ابنتهـــا الى ريكى ···

وقد قررت ريكى التى فشلت أن تصبح جيشا ·· أن تصنع من فوميكو ما حالت الحياة بينها وبين تحقيقه ···

استعادت كل امكانياتها العاطلة ، لتغنى لفوميكو وتعلمها الغناء ···

وكانت تعلمها فى صبر واخلاص ···

واستعادت مرة أخرى ما كانت قد تعلمته من خطوات الرقص وتقاليـد الجيشا ···

وكانت تبذل جهدا حقيقيا فى تعليمها ···

بل كانت تجد نشوة صادقة وهى تبعد قطع الاثاث الصغيرة ، وتمسك بيد « فوميكو » وتدربها ···

ولو أتيح « لفوميكو » مدرسة من بيوت الجيشا لما اجادت فى تعليمها مثلما صنعت « ريكى » ··

ريكى لم تكن تعلمهـا فقط ٠٠ وانما كانت طوال الوقت تريد ان تثبت لنفسها شيئا ٠٠٠ وكأنها تريد ان تقول للحياة :

ـ اذا كنت قد فشلت ان أصبح أنا فتاة جيشا ٠ فـلان الظروف كانت اقوى منى ٠٠ انظروا الى هذه الصبية فوميـكو التى لم تكن تعـرف شـيئا فعلمتها ودربتها لتصبح أعظم فتيات الجيشا ٠٠٠

وكان التدريب يستمر يوميا ٠٠٠

وبدأت « ريكى » فى حماسها تستيقظ مبكرة ٠٠ وقد أحست بضرورة اضافة ساعات جديدة ٠٠ وبدأت تشترى القصص لترويها لفوميكو ٠٠ فلابد لفوميكو ان تصبح ملمة بالقصص لترويها لرواد الجيشا ٠٠٠

وكثيرا ما كانت تصحبها الى السينما ٠٠ ولا تكتفى ان تشرح للصبية ما حدث ٠٠ ولكن تضيف من عندها لماذا يحدث !

واشترت لها اسطوانات كلاسيكية ٠٠ وراقصة ٠٠ ولتعليم اللغات ٠٠

وشـيكاكو ترقب ما يحـدث ٠٠ ونفسها الواهنة المستسلمة للارهاق لا تسأل ٠٠ وكأنما فوميكو لم تعد ابنتها انما ابنة « ريكى » ٠٠

بل ان « ريكى » نفسها شجعت هذا الشعور ٠٠ وتقدمت لاحتلال موقعها فى قلب فوميـــكو ٠٠ المـوقع الذى اضطرت الأم للتخـلى عنه فى مواجهة الحياة ٠٠٠

وكثيرا ما كانت « ريكى » تتحدث مع رواد البار عندما يسألونها عمـا دفعها للعمل فى البار فتقول فى تأثر :

ـ ابنتى ٠٠ أننى أريد ان اعلمها واثقفها واصنع منها اجمل واحسن فتيات الجيشا ٠٠٠

ثم تخرج صورة فوميكو ٠ تتداولها ايدى الجميع ٠٠ وتعيدهـا الى حقيبتها ، تودعها داخلها برفق بعد ان تقبلها عدة مرات !

وذات ليلة قال أحد روادها فى سخرية شديدة :

ـ ولكن ابنتك فوميكو هذه ٠٠ ألم تطلب منك أن تشترى لها الى الآن كيمونو ؟

وتنبهت ريكى أن صورة « فوميكو » للآن بالملابس العادية ٠٠٠ !

ولعدة أسابيع كانت تبذل جهدا مضاعفا فى مجالسة الرواد والتبسط معهم ، وتترك بطاقتها لهم تدعوهم الى معاودة الحضور ٠٠ حتى ترتفع النسبة التي تحصل عليها من صاحب البار فى نهاية الشهر ٠٠٠

وبالفعل ، حصلت على نسبة مرتفعة ٠٠ كانت بالكاد تكفى لشراء كيمونو صغير من أجل فوميكو ٠٠٠ !

وعندما لبست فوميكو الكيمونو الوردى ٠٠٠

وانحنت بحركة رشيقة فى أسلوب الجيشا الذى تعلمته من ريكى ٠٠ لم تتمالك الأخيرة نفسها فجذبتها الى ذراعها وقبلتها بقوة ٠٠٠

وبكت فوميكو وهى ترى نفسها جميلة ٠٠٠

وعندما صحبتها الى « تسان رى » المصور ليلتقط لها صورة رفعت راسها فى رشاقة ٠٠ وفتحت المروحة لتخفى جانبا ضئيلا من خدها ٠٠٠

وصفقت لها ريكى فى سعادة ٠٠٠

لقد تأكدت أنها قد صنعت منها حقا فتاة جيشا ٠٠٠

ومن ذلك اليوم ٠٠ كانت « ريكى » قد استولت تماما على فوميكو بالكامل ٠٠٠ واصبحت شيكاكو ٠٠ مجرد عاملة نظافة تشاركهما الحجرة ، وتدفع جانبا من الايجار ! ٠٠٠

كان الفصل الثانى فى حياة « فوميكو » قد بدأ يكتب الحروف الأولى ٠٠

★★★

عندما تحاول « فوميكو » اليوم ان تتذكر أول أيامها في بيت الجيشا « ياكاساكا » تعود ضربات قلبها تخفق فى اضطراب ٠٠ بل ان العرق البارد ليعود الى جبينها بلا وعى ٠

لم تكن يومها خائفة ٠٠ فالخوف من الاشياء المحددة في الشعور ٠٠ ولكنها كانت تمر من اقسى امتحانات الحياة ٠٠ وجودها كله تركز بشكل حاد فى الليله الاولى وهى تنحنى راكعة فى « الكيمونو » الرائع ٠ تخلع أحذية الضيوف الرجال ٠ ثم وهى تعلمهم الاكل بالعصى الخشبية وتصب لهم « الساكى » ، ثم وهى تلعب معهم العاب الورق ٠٠ واخيرا وهى تغنى لهم فى نهاية الليل ٠٠ اغنيه من اغنيات الوداع ، كانت « ريكى » قد علمتها اياها واجادتها « فوميكو » الي الدرجة التى كانت « ريكي » نفسها تبكي كلما

سمعتها ·· ولم يكن الرجال فى تلك الليلة اقل تأثرا من « ريكى » حتى هؤلاء الذين لم يدركوا معانى الاغنية ·· شدتهم نبرات « فوميكو » فى سحر غامض · وتركتهم فى حالة غريبة من النشوة الروحانية ·· اذ كان لصوتها صدى كاجراس معبد اسطورى . أو تراتيل تبتهل اللالهة ·

وليلة بعد ليلة ·· اصبحت أغنية فوميكو مقصدا وهدفا يأتى من أجله الرجال يحجزون أماكنهم مع المساء ·· ومتى انتصف الليل تخرج فوميكو من وراء ستار مزين برسوم الشجر والطيور ·· وتطل فى رقة على ضيوفها ·· تنحنى لهم . ثم تتناول آلتها الموسيقية الصغيرة تلمسها بأناملها الدقيقة ·· وترتعش الأوتار ·· وبعد لحظة يبدأ صوتها يتهدج متموجا كشلال من نغم سماوى ·

ولما لمست « كوينمى » مديرة البيت نجاح « فوميكو » وأغنيتها قررت اعفاءها من بقية التزاماتها واستبقاءها لأغنيتها فقط ·· مما جعل الرواد أكثر لهفة وانتظارا لها ··

هل كانت « فوميكو » سعيدة بهذا النجاح السريع ؟ لا احد كان يدرى ·· حتى « ساى » اقرب الزميلات الى قلبها ·· كانت فى حيرة فكثيرا ما كانت تلمح دمعة رقيقه تنساب على خد فوميكو وهى تتوارى خلف الستار فى نهاية اغنيتها . بينما أكف الرواد تلتهب بالتصفيق ·· وقد غامرت ساى مرة ووضعت يدها فى رقة على كتف صديقتها الرقيقة وسألتها فى دهشة مملوءة بمشاعر المودة :

– فوميكو ·· أتبكين ؟

وبقدرة خارقة ·· كانت فوميكو قد تمالكت مشاعرها فى لحظة نفضت على اثرها الدمعة التى فضحتها عن خدها ·· ورسمت ابتسامة حلوة على شفتيها . قبل أن ترد فى صوت حاولت بكل حرص أن تجعله قويا متزنا :

– لا شىء ·· لا شىء على الاطلاق أيتها العزيزة ··

ولكن لم تمر أيام حتى استطاعت ساى أن تدرك حقيقة أزمة فوميكو ·

لقد أصيبت الأم « شيكاكو » بمرض لا شفاء منه ··

وكانت فوميكو تقضى نهارها ممزقة بين الأطباء – وكانوا جميعا يرددون ·· « لا فائدة » ·· وأصرت فوميكو أن تحملها الى المستشفى ، وبذلت كل ما تستطيعه من أجلها ·· ولعلها فى اعماقها كانت تحس بتأنيب ضمير خفى ·· أنها لم تعط للأم حقها ·· وانما تركت « ريكى » تتقدم وتحتل مكانها ·

ومع مرور الأيام كانت حالة شيكاكو تزداد سوءا ··

وبات كل من حولها يدعون فى أعماقهم أن تعجل الأيام بموتها حتى لاتزداد عذابا ·· بل ان الأطباء انفسهم رفعوا أيديهم صراحة حتى لا تطيل عقاقيرهم من عذاب لا مبرر له لشيكاكو المسكينة ··

ذات مساء قبل رفع الستار بلحظات ·· جاءت ساى تعانقها فى صمت والدموع تنساب على خديها ·

وصرخت فوميكو وهى تطل فى عينى « ساى » ·

ــ أمى ماتت أليس كذلك ؟

وهزت ساى رأسها فى نفى ·· وان كانت الدموع على خديها تؤكد أن هناك خبرا أليما ··

كانت « ريكى » هى التى ماتت ·· فجــأة وبلا مقــدمات ·· وظلت « شيكاكو » متمسكة بالحياة فى استماتة ·· يوما ·· بعد يوم ·· وشهرا بعد شهر ·· وكأنما استمدت من موت « ريكى » قوة على البقاء ·· فأخذت تعاند ، وبالرغم أنها كانت تبدو كالشبح ·· كانت عيناها تطلان فى وجهها فى بريق غريب ··

واستمرت الحياة « بفوميكو » و « شيكاكو » صراعا عنيدا وعنيفا بين الموت والحياة ·· وفى هذه الفترة جد فى حياة فوميكو حدثين ·

أولهمــا صداع غريب يمزق نصف وجههــا الأيسر ·· وتضطر معه أن تغمض عينها اليسرى ·· وتطبق اسنانها حتى لا تصرخ من الألم ··

والثانى · ·هو ظهور « أوجو » ··

بل لعل ظهورهما كان فى نفس اللحظة ··

ذات مساء كــانت فوميكو تنحنى على جمهورهــا تحييه قبل أن تبدأ أغنيتها ·· عندما شعرت بهذا الصــداع الهائل ·· وأغمضت عينيها لحظة تغالب ألمها ··

وعندما فتحت عينيها فى اللحظة التالية ·· كانت تراه أمامهــا لأول مرة ·· و « ساى » تقوده الى المكان المحجوز دائما لرودا الخاصة ·

راعها فيه وجهه الضخم الصارم ·· وشعره الأبيض الغزير ·· وراعها أكثر عيناه النفاذتان ·· صوبهما نحوها فى اصرار ·· وطوال أغنيتها كانت نظراته تسقط على وجهها وتكاد تصهره ··

وشعرت فوميكو براحة غريبة وهى تنهى اغنيتها .. وتتوارى وراء الستار ٠٠ بل لعلها فى تلك المرة انهتها بسرعة متعمدة ٠٠

وعندما اقتربت منها « ساى » سألتها ٠

ـ من يكون هذا الرجل ذو الشعر الأبيض ؟

ـ انه أوجو ٠٠ اغنى أغنياء طوكيو ٠٠ جاء الليلة خصيصا من أجله ٠٠وحجز مكانه منذ الصباح ٠٠

★★★

وأتاحت الأيام التالية « لفوميكو » أن تعرف « أوجو » معرفة وثيقة ٠٠

أو بالأصح استطاع « أوجو » بغناه أن يشترى هذه المعرفة من « ساى » مديرة البيت التى حجزت حجرة خاصة له وحده.. وطلبت من فوميكو أن تلتقى فيها « بأوجو » ٠٠ الذى يرغب أن يسمعها تغنى له وحده ٠٠

استجابت « فوميكو » لطلب « كونيمى » وإن كانت فى أعماقها تتوجس خيفة ٠٠ ولكن ساى أذابت مخاوفها عندما أسرت لها أن « أوجو » هذا قد تجاوز السن التى قد تخشى منها فوميكو من طلبات لن تجب الاستجابة لها ٠٠ ولخصت ساى مشكلته فى بساطة مما سمعته من « كونيمى » وبعض فتيات الجيشا الأخريات ٠٠ ان « أوجو » رجل عاش شبابه ورجولته مكافحا من أجل تحقيق نجاحه الاجتماعى الضخم وقد وفق فى كل مشاريعه ٠٠ اذ حالفه الحظ دائما ٠٠ ومهما كانت الصفقات التى يعقدها معقدة أو جنونية فقد كان النجاح فى جانبه ٠٠ وقد كرس « أوجو » كل ذاته وكل وقته ليدعم هذا النجاح ويحوله الى أشياء ملموسة ٠٠ عربات ٠٠ وفنادق ٠ وجرت منه السنوات وتبين له بعد أن أدرك الخريف أنه لم يعش شبابه ، بل هو أيضا أضاع رجولته يلهث صاعدا الى ما حسبه مجدا ٠٠ وها هو فى النهاية يكتشف أنه حتى لا يعرف الى من يترك ثروته التى كونها بالعرق والعمر ٠٠ فهو فى النهاية وحيد بلا أسرة ٠٠ بلا زوجة أو وريث ٠٠ وحيد حتى أعماقه ٠٠

٠٠ واستمعت « فوميكو » الى « ساى » تسترجع مع الكلمات شكل أوجو ٠٠ وجهه الضخم الحاد ٠٠ ونظرته الطويلة المتفحصة ٠٠ وشعره الأبيض ٠٠ ولم تجد تناقضا بين الصورة والحياة ٠٠ ولكنها وجدت نفسها تسأل ساى فى النهاية ٠

— ولكن ٠٠ ماذا تراه يريد منى ٠٠ ان اغنى له ؟ واسليه ؟ فقط ؟
وقالت ساى ٠٠ وهى تخفض صوتها كأنها ستبوح بسر :

— لا أعتقد أنه يريد منك أكثر من ذلك ٠٠ ليس فقط ٠٠ لأنه لا يستطيع ٠٠ ولكن لأن ما يحتاجه شيء أكبر من الجنس وأعظم ٠٠ انه يريد قلبا يحبه ٠٠ يرى فيه الانسان وليس الثروة ٠٠ وهو أمر صعب فشلت فيه كل من عرفته فازداد احساسا بالوحدة والحزن ٠٠

وساعتها فكرت فوميكو ان تعتذر عن لقاء أوجو ٠٠ فهى ان كانت قد حافظت على قلبها البكر الى الآن ٠٠ فليس معنى ذلك انها ستعطيه لرجل فى سن أبيها ٠٠ تذيبه من أجله كقرص دواء تعالج به وحدته وتسترد له شبابه الذى هرب منه ٠

ويبدو ان ساى اللماحة قد قرأت نية فوميكو ٠٠ فقالت وهى تساعدها على ارتداء الكيمونو :

— ليس معنى معرفتك بـه ٠٠ اضطرارك لحبـه ٠٠ من السهـل أن تعطيه صورة قريبة من الحب ٠٠

والتفتت اليها فوميكو فى حدة قائلة :

— تعنين أن أزيف له الحب ٠٠ أو أزيف له نفسى ؟

وقالت « ساى » محرجة :

— لا أقصد ذلك تمامـا ٠٠ وانما ما أعنيـه ٠٠ أنك قد تنجحين فى حمله على الأمل ٠٠

— الأمل ؟ الأمل فى ماذا ٠٠ ؟

— فى الغد ٠٠ تعطينه شيئا يعيش من أجله بعد أن فقد ايمانه بثروته وبالآخرين ٠٠

— وأنا ؟ وأحلامى فى الغد ؟

— فوميكو ٠٠ دعينى أسألك ٠٠ هل تحتفظين بقلبك كله ؟

— ماذا تعنين ؟

— أعنى ٠٠ ألم يتقدم بعد من يستولى على قلبك ؟

— لا ٠٠ الى الآن لا يزال قلبى ملكى ٠٠ ينتظر ٠٠

— حسنا ٠٠ تستطعين أن تعطى جزءا منه لهذا الرجل ٠٠ وسيكون سخيا فى المقابل ٠٠

ونظرت فوميكو طويلا فى عينى ساى ·· حتى شعرت الأخيرة بالحرج فغضت من بصرها ·· ولكن فوميكو رفعت وجههـا فى عناد يتيـدها لتلتقى نظراتهما مرة أخرى ·· وتسألها :

ــ ولـو تصـادف أن احتجت بعـدها لقلبى كاملا لرجل آخر ؟ ويكون الوقت قد فات ؟

واهتزت أهداب « ساى » وهى ترد :

ــ لا اتمنى أن يأتى هذا اليوم يا فوميكو ·· أنا أعلم أن قلبك لن يسع سوى حب واحد ··

وفى هذه اللحظة كانت كونيمى قد أحست بالقـلق لتأخـر « فوميكو » فجاءت الى الحجرة بنفسها تتعجلها ·· وتلقى نظرة أخيرة على زينتها · وكانت فى يدها علبـة أنيقة فتحتهـا لفوميكو ·· واطل سوار ماسى يخطف البصر والى جوار السوار كانت ترقد بطاقة أنيقة مذهبة الأطراف ·· أضاف فيها أوجو الى جوار اسمه : « ذكرى الأيام القادمة » ··

كانت الجملة ذكية ·· وتبادلت فوميكو وساى نظرة ذات مغزى ··

وقالت « كونيمى » وهى بخبرتهـا السـابقة لا تخفى ما يحتمـل فى خاطرها ·

ــ أنا واثقة انك ستكونين سعيدة معه ··

ولم ترد فوميكو ·· اذ كانت واثقة أن أوجو قد دفع ثمن هذه الجملة الشجعة لكونيمى · وألقت على نفسها نظرة أخيرة فى المرآة المستطيلة ·· وثبتت وردة بيضاء فى شعرها وسارت فى خطوة ثابتة الى ركن الحجـرة تناولت آلتها الموسـيقية ·· وخرجت الى حيث أوجو ينتظـرها فى الحجرة العلوية ··

★★★

كان « أوجو » يبدو لها فى تلك السـاعة من ذلك المسـاء ، والضـوء الخافت من خلفه يحدد حجمه ·· وكأنه أحد تماثيل بوذا ··

التفت اليها ·· أحنى لها رأسه ·· ولم ينهض ··

اما فوميكو ·· فقد وقفت فى منتصف الحجرة ·· وانحنت فى رشاقة والتها الموسيقية فى يسراها ·· وفى لحظة كانت تجلس قبالته ·· انشغلت عن مواجهة نظراته ·· بضبط أوتار « السماسين » ·· وبدأت اناملها تعزف فى براعة ساحرة ·· وخفة لا مثيل لها ·· ثم انساب صوتها مع الموسيقى ·· حنونا متدفقا جياشا ·· اذ كانت فوميكو ·· قد تعودت أن تعزف وتغنى فى عزلة نفسية مهما كانت الظروف المحيطة بها · والعيون التى تراقبها ·· وكأنها تعزف لنفسها أو تغنى لاله مجهول لا أحد يراه سواها ··

وطوال الوقت كان أوجو ·· يتطلع اليها فى نظرة واحـدة طويلة مستمرة عيناه لا تطرفان ·· يده وحدها كانت تمتد من حين لآخر الى شراب الساكى ، ترفعه الى شفتيه فى حركة الية ·· وكانت ساى التى تقـدمت فى خفـة استجابة لأمر « كوينمى » بزجـاجة جديدة من شراب السـاكى ·· تتأمل منظرا فريدا ·· وكأنها فى حجرة خشبية وضع فيها تمثالان من الشمع احدهمـا يعزف والثـانى يستمع ·· فانسحبت على اطراف أصابعهـا ·· واغلقت خلفها الباب الخشبى فى هدوء ·

كانت « فوميكو » قد وصلت الى نهاية الجـزء الأول من أغنيتهـا ·· وسكتت لحظة لتستعد للجزء الثانى ، وهو أجمل وأشجى ما فى الأغنية ·· وقمة ما فيها من حزن ومعاناة ·· وكانت قد تعودت أن تمر بنظراتها حولها ، تستعرض الموجودين ·· بينما أناملها تلمس أوتار السماسين ·· ثم ترتفع ببصرها الى سماء مجهولة وتبدأ تغنى ·· بينما صوتهـا يرتفع فى براعة ، ويتهـدج ، ويتلون بالأسى . ويهتز جسـدها النحيـل ليتجاوب مع انفعـال الكلمات · ويبدو أنها الليلة كانت أكثر احساسا بمعنى كلمات أغنيتهـا لأن صوتها كان صافيا متدفقا كشلال من الدموع :

« أيتها السماء ·· أناشدك ··

« أن تمر اليوم سحابة ··

« تبكى مثلى ··

« وتغسل دمعى

« قلبى صحراء

« ينتظر قطرة مطر ··

« روحى صحراء ··

« تنتظر قطرة مطر ··

« أمالى صحراء

« تنتظر قطرة مطر

» ودموعي ··
» ذاب فيها الملح
» ومزقت خدى ··
» أيتها السماء اناشدك
» أن تمر اليوم سحابة
» تبكى مثلى ··
» وتغسل بدمعى
» وتشرب الملح
» من فوق وجهى ··
» وتنبت الورد
» على خدى ··

وسكتت فوميكو ·· وصدى آخر كلماتها يتردد فى أعماق أوجو ·· وكانت اناملها لاتزال تلمس أوتار « السماسين » فى بطء وهدوء ·· وكأنها تمسح عنه بقايا اللحن الحزين ·· ثم احنت راسها الى أوجو ·· وكأنما تراه من خلال ضباب . وهى تجمع فى عناء شتات ابتسامة واهنة كان من الصعب أن تعود رحلتها الى الواقع فى لحظة ·· وتدارك أوجو ذلك بلباقة فظل صامتا ·· وكأنما خشى أن يقتل الهدوء الذى أصبح له مذاق غريب فى أعقاب أغنيتها ·· وكأنه استمرار لها ·· بل وكأن هناك ترديدا صامتا للكلمات ··

وكانت ساى بالخارج تتسمع الكلمات ·· وعندما أدركت أن فوميكو قد انتهت من أغنيتها ·· انتظرت لحظات قبل أن تدخل فى هروء حاملة زجاجة جديدة من الساكى ·· ولكن أوجو التفت اليها وهو يدفع الزجاجة شاكرا ··

كان أوجو قد قرر أن يستبقى وعيه كله فى حديثه مع « فوميكو » . لقد تعود دائما فى مواجهة القرارات الكبيرة فى عمله ·· أن يكون فى حالة انتباه ·· وليس خاضعا لتأثير الخمر ·· وكان يدرك انه الآن على وشك مواجهة قرار كبير فى حياته ·· ومرة أخرى وجدت « ساى » نفسها تغادر الحجرة . غير مرغوب فيها من الضيف الكبير ··





التفتت أوجو الى فوميكو ... ومد يده الضخمة ليضم أناملها النحيلة وقال وهو يطل بعمق فى عينيها :

ـ فوميكو .. أرجو أن تسمعيني هذه المرة جيداً .. فالايام تبتلعنا بدون أن ندرى .. لقد قررت أن أجعلك أساساً فى حياتى .. ولكننى لا أعرض عليك عرضا واحدا .. خوفا من أن ترفضى .. وانما ساضع أمامك عدة احتمالات لتختارى بينها ..

سكت أوجو لحظة وعيناه لا تغادران وجهها قبل أن يضيف فى وضوح وكانه يقرأ شيئاً حفظه فى نفسه من قبل :

ـ أعرض عليك أن تكونى زوجتى ... لقد اشتريت بيتا كبيرا فى كيوتو يطل على جبل فوجى فى منطقة ساحرة ستعجبك بدون شك ...

واعرض عليك أن تديرى المتحف الحديث للفنون الجميلة الذى اقمته فى قلب طوكيو وسافتتح أول معارضه بعد أسبوعين ...

واعرض عليك أن تكونى سكرتيرة مرافقة لى ... فكما ترين .. أريد أن استثمر وقتى ومالى ... ولا استطيع ذلك الا اذا ساعدتنى ... واخترت القدر الذى تريدين أن تكونيه فى حياتى ؟

شابت كلمات أوجو الأخيرة ... رقة شديدة ... مست فوميكو ... وكانت يدها الصغيرة قد استكانت تحت قبضته ... فاستردتها برفق .. لتقول له على الفور وهى تحنى راسها :

ـ كلماتك تحرك كل وجدانى بالامتنان لعواطفك النبيلة ... ولكننى لا استطيع أن اكون فى حياتك باكثر من القدر الذى اكونه الآن ...

علت سحابة من الضيق وجه « أوجو » ولم يستطع التحكم فى أعصابه .. فارتجفت يده بشكل ملحوظ وهو يبحث عن علبة سجائره وهنا قالت فوميكو :

ـ ارجوك لا تفهم كلماتى ... على أنها اهانة لك .. ولكن دعنى أشرح لك حقيقة الأمر ... انها قضية خاصة بى أنا .. بحياتى وعواطفى .. أنا .. أنا لا أستطيع أن اكون لك زوجة .. لأسباب خاصة .. خاصة جدا ..

ـ هل استطيع أن أعرفها ؟

ـ لا اريد أن أجرح احساسك ··

ـ تحبين رجلا آخر ؟

ـ لا ·· ليس الامر كذلك ·· أرجوك لا تصر ··

ـ بل أصر ··

ـ الحقيقة قد تؤلمك ··

ـ أصر على المعرفة ··

أحنت فوميكو رأسها ·· وقالت :

ـ حسنا ·· منذ فترة طويلة وأنا احس بصداع غريب ·· وقد ظننت في بادىء الأمر انه مجـرد عارض سيزول ·· ولكن تاكدت الأسبوع الماضي بعد فحوص اجريتها في مستشفى « تسان لو » أن ·· أن الأمر أخطر بكثير ·· وأنني قد ورثت لعنة الاشـــعاع الــذرى ·· فكمـــا تعـلم ·· أنا من « هيروشيما » ··

سكتت فوميـــكو ·· واندفع أوجـو في حـــديث طويل وحار ·· عن امكانيات الشفاء ·· وعن كل ما يريد أن يبذله من أجل شفائها ··

ولكن فوميكو كانت تهز رأسها طويلا ·· وابتسامة شاحبة على شفتيها انتهت بأن قالت له :

ـ أرجوك أن توفر آلامك ·· وكلماتك ·· اذا أردت ألا تجرح مشاعرى ·· يكفي أن اقول لك أن آخر آمالى كانت عند الدكتور « هاناوا » كان أملى الوحيد ، لعلك تعلم أنه أفضل اطباء العلاج بالوخز ·· وقال لى أنه يستطيع أن يقلل من آلامى ·· أما الشفاء فمستحيل ··

وكان أوجو قد سمع الكثير عن الدكتور « هاناوا » وعن مقدرته المذهلة ·· التي تكاد تشـــبه السحر ·· وعرف معنى أن يكون قد أصـــدر حكمـــه بالمستحيل ·· فسكت طويلا قبل أن يعود ملحا ··

ـ وبقية العروض ؟

ـ ارجـــوك ·· دعني أعيش ما تبقى من أيامى هنـــا ·· حيث مكانى الحقيقى ··

ولكن أوجو كان نوعا من الرجال الذين لا يخرجون من أى معركة الا بانتصار ·· أى انتصار ·

اتفق مع فوميكو أن يشترى يوما من حياتها كل أسبوع · أن تعطيه يوم السبت ·· تزور متحفه فى الصباح تنسق له اللوحات ·· وفى المساء تستقبله فى بيت الجيشا ·· ولا تستقبل غيره ··

وافقت فوميكو ·· ودفع أوجو أجرا سخيا نظير يوم السبت ·· وقالت فوميكو فى داخلها ان الفصل الثالث فى حياتها ·· قد يكون هو الفصل الأخير ·· فلا مانع أن يصعد أوجو على المسرح كضيف شرف ··

★★★

كان « أوجو » قد قرر افتتاح أول معارض متحفه الجديد باقامة معرض لفنان من الشرق ··

ووقف سعيدا يقدم الفنان القادم من القاهرة الي فوميكو التى أحنت رأسها وضمت يديها الصغيرتين ··

كنت انا ذلك الفنان الذى جاء من الشرق !! فى رحلة طويلة ومجهدة عبر القارات ·· ليصبح بدون أن يدرى جزءا من حياة فوميكو ·· وأوجو ·· وليعيش أغرب تجربة للحياة والموت على أرض جديدة ··

واليوم عندما أستعيد صباح ذلك السبت البعيد والقريب فى ذاكرتى ·· أرى نفسى فى دهشة بعيدا عن نفسى ·· وكأننى انسان آخر اطل عليه ·· وأشاهده يتحرك فى الماضى ·· لذلك أفضل أن اعود ·· فأتحدث عن نفسى بضمير الغائب حتى أرى مرة أخرى الصورة كما كانت بشكلها الكامل ··

★★★

فى الافتتاح كانت فوميكو الى جوار أوجو الذى ارتدى حلة داكنة أظهرت شعره الفضى ·· وحددت قوامه الممتلىء ·· وكانت فوميكو فى الكيمونو الوردى تشع بحيوية رائعة ·· وكأنها بحجمها الدقيق دمية يابانية دقيقة الصنع قد دبت فيها الحياة وتدفقت بالحركة ··· ووقف الفنان

القادم من الشرق ·· يستقبل الزوار الى جوارهما مبهورا بالاهتمام الذى احاط به ·· ينظر الى لوحاته التى تجمع حولها الجمهور وكأنه يراها لأول مرة ·· وقبل أن يغلق المتحف أبوابه ·· كان أوجو فى سعادة بالغة يضع يده السمينة على كتف الفنان ويقول له : افتتاح رائع ·· الا ترى ذلك ؟

وقبل أن يسمع ردا ·· أضاف :

ـ تعود الآن الى الفندق ·· وتستريح ساعة قبل أن أمر عليك ·· لنقضى المساء فى بيت « بالاكازاكا » من أعرق بيوت الجيشا بطوكيو ما رأيك ؟

واتسعت ابتسامته وهو يجذب فوميكو نحوه برفق :

ـ فوميكو ستكون هناك فى استقبالنا ··

★ ★ ★

ووجد الفنان القادم من الشرق نفسه ·· جالسا على الأرض الخشبية الى جوار فوميكو ·· وفى مواجهة أوجو الذى كان يضحك فى مرح شديد ·· لقد أراد أن يقضى ليلته الأخيرة فى طوكيو سعيدا ، قبل سفره فى الصباح التالى الى طوكيو ليشرف على اعادة طلاء القصر الصغير الذى اشتراه ··

وكانت كل بنات الجيشا فى البيت قد تجمعن فى اهتمام حول أوجو ·· وأحست فوميكو أن نصيبها الفنان وحده ·· فبدأت تسأله عن بلده ·· عن الأهرامات ·· ووادى الملكات ·· وشكل العيون الفرعونية ·· كانا يتحدثان بالفرنسية ·· وكانت كلمات فوميكو تبدو أقرب الى لغة مشتقة من الفرنسية وان لم تكن بعيدة على الفهم ·· ولأن التقاليد فى اليابان ترى أن الاهتمام بالضيف جزء من الاهتمام بصاحب الدعوة ·· كانت فوميكو قد وجهت الى « أوجو » أسمى ما تستطيع أن تقدمه فتاة الجيشا نحو الرجل الذى يدفع لبيتها ثمن السهرة بسخاء شديد ·

كان الوقت قد تقدم ··

والتفت أوجو الى فوميكو ليقول :

ـ اسمعى ضيفنا القادم من الشرق أعلى أصوات الحب فى اليابان ··

أحنت فوميكو رأسها فى تواضع ·· والتقطت من رفيقة لها « السماسين » وبدأت تغنى ··

« ايتها السماء ·· اناشدك

« أن تمر اليوم سحابة

« تبكى مثلى ··

« وتغسل دمعى ··

« قلبى صحراء

« ينتظر قطرة مطر ··

« روحى صحراء

« تنتظر قطرة مطر ··

« امالى صحراء

« تنتظر قطرة مطر ··

« ودموعى

« ذاب فيها الملح

« ومزقت خدى

« ايتها السماء أناشدك

« أن تمر اليوم سحابة

« تبكى مثلى ··

« وتغسل دمعى ··

« وتشرب الملح

« من فوق وجهى ··

« وتنبت الورد

« على خدى ·· »

وسكتت فوميكو ·· وسكت الجميع ·· واحس الفنان القادم من الشرق أن فى قلبه دموعا لا يعرف موضعها ·· كانت السهرة قد انتهت ··

نهض « أوجو » ونهض معه الجميع ·· يحيونه ·· ومدت فوميكو يدها ببطاقة صغيرة وردية اللون ·· اعطتها للفنان وهى ترد على دهشته :

ـ بنات الجيشا يحملن بطاقات ·· عليها الاسم والعنوان ·· ورقم التليفون ·· اذا احسست بالغربة ·· أو احتجت الى مساعدة ·

★★★

كان الصباح التالي شاقا ·· مواجهة جمهور غريب على الفنان ومحاولته أن يرد على أسئلة عديدة وأن يكون مفهوما بالرغم من حاجز اللغة ·· وكالعادة نسي ارهاقه ونسى أن يتناول طعامه ·· وأدركه المساء وهو واقف على قدميه ··

وعاد الى فندقه ليجد باقة كبيرة من الورود الحمراء تحمل تحيات « أوجو » من كيوتو ··· ووجد خطابا فتحه فوجد عدة دعوات ·· وتذاكر زوجية للسينما والمسرح ·· وحمامات السونا ·· وبطاقة لحفلة خاصة ·· ودهش الفنان القادم من الشرق ·· فكلها كانت لنفس الليلة ولكن كلمات « أوجو » فى الرسالة المرفقة وضحت له :

« لا أعرف بالضبط نوع السهرة التي تريد أن تقضيها ·· اختر ما يحلو لك ·· واستمتع بوقتك ! » ·

ابتسم ·· وهو يضع رسالة أوجو جانبا ·· كان كل ما ينشده ساعتها ·· بعد رحلته عبر القارات · وارهاق العرض ·· واستقبال الجمهور ·· هو مجرد النوم ··

ألقى بنفسه على السرير ·· وأغمض عينيه ·· وحاول أن ينام ·· وفجأة بدأت الآلام تزحف داخله ·· آلام عرفها من قبل ·· وألقت به تحت أيدى الأطباء فى بلده ·· وعلمته معنى العلاج ·· والأشعة والتحاليل وعينات الدم ··

ولكن فى تلك الليلة البعيدة فى فندق « دايتش » بطوكيو كانت الآلام قد فاقت كل حد احتمله من قبل ··

واحساسه بالوحدة والغربة والخوف ·· يزيد من ادراكه لخطورة حالته ··

طالما استمتع فى أسفاره باحساسه بالغربة ·· وتحاشيه السفارات والأصدقاء يعطيه الاحساس بانه « طبعة » جديدة من نفسه يتحرك على أرض

المجهول ·· ولكن فى تلك الليلة والآلام الحادة ينتفض بها جسده ·· كان يتمنى أن يكون ساعتها فى بلده ··

يرفع التليفون ويصرخ مستنجدا ولكن هنا ·· لا احد يعرفه ·· « وأوجو » على بعد أميال فى كيوتو ·· لايملك منه سوى بطاقته ·· وتذاكره والباقة الحمراء التي تطل عليه ·· وسهرة الليلة الماضية ·· وفجأة استحضر تداعى المعانى « فوميكو » اليه ··

نهض يترنح ·· يبحث عن بطاقتها ··

وطلب رقم التليفون ·· نادى باسمها ·· وجاء صوتها بعد لحظات ·· قال كل ما عنده مرة واحدة ·· كان الألم قد تزايد بشكل مميت ·· ذكر لها اسم الفندق ·· ورقم الحجرة ·· وسقط على الأرض ··

★★★

عندما فتح عينيه ·· كانت فوميكو أمامه ترفعه برفق ·· ولم تكن وحدها · كان الى جوارها موظف الاستقبال الذى كان كما يبدو قد فتح لها باب الحجرة ·

كان الألم قد خدر حواسه فاستسلم تماما لهما يقودانه حتى سيارة الأجرة التى كانت تنتظر الى جوار مدخل الفندق ، تبادلت فوميكو كلمات سريعة باليابانية مع موظف الاستقبال الذى كان يبدو مترددا ·· ثم ما لبث أن وافق بهزة يائسة من رأسه كأنه ينفض مسئولية أمر ما ··

كانت سيارة الأجرة منطلقة فى شوارع كيوتو فىسرعة شديدة أحس بها فى الهزات المتتالية التى كانت تجسد آلامه وتجعلها غير محتملة ·

كان يفتح عينيه من حين لآخر ليلقى نظرة الى الطريق فيرى وجه فوميكو تطل عليه وقد حرصت أن تحمل شفتيها ابتسامة اطمئنان يفضحها القلق فى عينيها ··

انحرفت سيارة الأجرة لتقف فى طريق جانبى ضيق ·· وبدأت فوميكو تتحدث مع السائق باليابانية ـ فى جدل وضح أنه لا جدوى منه ، فقد هز السائق رأسه رافضا الاستمرار مشيرا الى الطريق الضيق ·· نظر الى الخارج يتعرف على المكان ، الذى كان يبدو على أطراف طوكيو ·· فقد خفتت الأضواء وزحمة المرور ·

والتفتت اليه فوميكو تقول بالفرنسية وهى تفتح الباب الى جواره :

ـ السائق يخشى الاستمرار فى الطريق الضيق ٠٠ هل تستطيع أن تتحمل المشى قليلا ٠٠ حتى نصل ؟

سار فى الطريق بصعوبة ٠٠ وبالرغم من الامه ٠٠ كانت رائحة الورود التى اطلت عليه فى بياضها كنجوم راقدة على الأرض ٠٠ تملأ وجدانه بعطر رقيق تسلل الى اعماقه واكسبه هدوءاً غريباً ٠٠ وكانت الخطوات الأخيرة هى اقسى ما فى الرحلة القصيرة ٠٠ فالطريق يرتفع فجأة الى سبع درجات مرتفعة ٠٠ ومدت فوميكو يدها اليه وبلا تردد كانت يدها الصغيرة تساعده فى قوة غريبة ٠٠ على صعود الدرجات ٠٠ وبينما استند الى الحائط الأبيض ٠٠ كانت تخلع له الحذاء ٠٠ وتدفع برفق الباب الصغير ٠٠ ويدخلان الى حجرة صغيرة ٠٠ اضاء مصباح صغير ركنا منها ٠٠ بينما تصدرت الركن مكتبة تعلوها لوحة لجبل « فوجى » فى الشتاء ٠٠ والثلج يكسو قمته ٠

تركته فوميكو ٠٠ لتنفذ من خلال ستارة رقيقة الى الحجرة الأخرى ٠٠ وسمعها تتحدث بسرعة ٠٠ ولم يسمعها تتلقى ردا ٠٠ وعادت بعد لحظة ٠٠ لتقول بالفرنسية « الدكتور هاناوا سيستقبلك الآن ٠٠

★★★

كان من الصعب أن يحدد عمر الدكتور هاناوا ٠٠ فوجهه من النوع الذى يعيش أى عمر من مقتبل الشباب الى مقتبل الشيخوخة ٠٠ ولكنه يتسم بملامح هادئة تعطى الثقة وتكسب الهدوء ٠٠ فهو اقرب الى الرهبان البوذيين منه الى طبيب ٠٠ وكأن ساعتها يقف فى منتصف حجرة الكشف التى تبدو عارية تماما لا يشغل فراغها سوى تمثال ضخم لبوذا ! ٠

فى لحظات كانت فوميكو قد خلعت له معطفه ٠٠ وقميصه ٠٠ ورقد على الأرض تحت قدمى بوذا ٠٠ بينما راحت يد الدكتور هاناوا تفحصه فى دراية غريبة ٠٠ وكأنها يد مدربة تفحص اصابع بيانو مخرب ٠

وتبادل هاناوا كلمات مع فوميكو التى رجعت على مقربة فالتفت اليه تقول :

ـ الدكتور « هاناوا » يقول أن حالتك ٠٠ لم تعالج فى الوقت المناسب ٠٠ ويبدو انك تشكو منها طويلا ٠

انتظر « هاناوا » حتى أكملت جملتها ليردد عبارات جديدة باليابانية ·· وقالت فوميكو :

ـ « سيعالجك بوخز الابر ·· فهل ترغب فى ذلك ؟ » ··

هز راسه بالايجاب ··

وانحنى الدكتور هاناوا عليه ·· وبسرعة كانت يده الصغيرة قد تناولت اسفنجة بللها فى سائل خاص مسح به صدره ·· ثم مد يده ليلتقط ابرا طويلة من الذهب ·· والبلاتين ·· بدأ يغرسها بسرعة ومهارة فى صدره وجنبيه ·· ثم انتقل الى رقبته ويديه ·· كانت الابر فى يد هاناوا تتحرك فى اتقان وفى عينيه نظرة واحدة متطلعة واثقة مما يفعل ··

وبدأت الام الفنان القادم من الشرق تذوب وسط احساسه بوخز الابر ·· ثم ما لبثت أن رحلت الآلام فجأة ·· وترك الوخز فى جسده احساسا غريبا ·· وكأنما مسام جسده كلها قد تفتحت ونفضت عنها ما تراكم داخلها من أوجاع وآلام · نهض وراحة كاملة تحتويه ·· وكأنه يملك جسدا جديدا ·

وخلال أسبوعين كان يتردد يوميا على الدكتور هاناوا · وكانت فوميكو تصاحبه · وكان هاناوا يعالجها هى الأخرى من الصداع الغريب الذى كان يقتحم راسها ·· وخلال ترددهما معا عليه ·· عرف منها الكثير عن حياتها ·· اشركته فى مأساتها ·· لم تقصها عليه قصة باكية ·· وانما كقدر محتوم ·· ككتاب قرأت آخره قبل أن تعيش فصوله ·· وكانت تحكي له تاريخ الجيشا · وقصص الحب الخالدة فى حياتهن ·· وعلمته بعض الجمل اليابانية سمحت له أن يتحدث قليلا مع الدكتور هاناوا · الذى كان يملك حاسة غريبة لتذوق الأدب والفن ··

وكان « هاناوا » قد طلب أن يشاهد لوحاته ·· وصحبتهما « فوميكو » وقامت بترجمة اجاباته على أسئلة هاناوا ·· الذى تجول ببطء أمام اللوحات يقف أمام كل واحدة ·· والتفت الى فوميكو يقول لها جملة طويلة · وبدت مترددة فى نقلها اليه حتى كررها « هاناوا » فى تأكيد ·· وهنا لم تجد مفرا من أن تقول :

ـ دكتور هاناوا يقول عن فنك أنه مؤثر ·· ولكنه يريد أن يرى النهار فى لوحاتك ·· لماذا تهرب من الشمس ؟

ـ قولى له لعلى أعشق الليل ··

ـ لا بل تهرب اليه وتخفى فيه الامك وخوفك ·· من الغد ·· حتى تلتقى فيه بالشمس ·· هكذا يقول لك هـاناوا ·· وسينتظر أن تعـود اليه يوما بالشمس فى عينيك وفى قلبك ·· وفى لوحاتك ·

ـ هل هى نبوءة ؟·

وقالت فوميكو فى ثقة شديدة ·· وهى تنظر الى وجه هاناوا المبتسم :

ـ بل هى دعوة ·· والدكتـور هاناوا ·· رجل صـالح ·· دعـواته مستجابة ·· وسترى ··

وكان أوجو فى « كيوتو » قد قرر أن يضيف الى قصره جناحا لنباتات الظل ·· ومد اقامته هناك ثلاثة أسابيع ··

كان علاج الفنان القادم من الشرق قد انتهى ··

ومعرضه أيضا انتهت مدته ··

وذهب فى زيارته الأخيرة لهاناوا يسأله عن تكاليف العـلاج ·· ولكن هاناوا ·· رد مبتسما :

ـ أول لوحة ترسم فيها وجه الشمس !··

وقال محرجا ·· لفوميكو :

ـ قولى له ·· قد لا أحضر الى اليابان مرة أخرى ··

ـ ارسمها فحسب ·· هكذا يقول لك ·· انها أجره من بعيد ··

ومد هاناوا يده الصغيرة مودعا ··

اليد التى انقذته ذات مساء ··

***



كانت الساعة قد اشرفت على الخامسة ··

وكانا فى طريق العودة ··

بحث عن كلمات ·· يقتل صمتا غريبا فرض نفسه على ساعة الوداع ·· وقال :

ـ غريب أن يأتى الغروب هكذا مبكرا هنا فى اليابان ··

وقالت فوميكو تتحاشى عينيه :

ـ وهكذا بعض البشر هنا أيضا ··

كان فى صوتها رجفة غريبة ·· فالتفت اليها متسائلا ·· وخفضت بصرها لتقول فيما يشبه الهمس :

ـ هل تعلم اننا لن نلتقى مرة أخرى ·· آخر صفحات حياتى تنتهى قريبا ·· لا ·· لا ·· لاتقل شيئا ·· وداعا ! ··

وابتسمت فوميكو ابتسامة واهنة تخفى أحزانها ·· وقالت :

ـ لعلك تتذكر يوما فتاة تعسة من بنات الجيشا ؟

ومدت يدها تصافحه للمرة الأخيرة ··

نفس اليد الصغيرة التى أنقذته ذات مساء ··

وقال :

ـ أشكرى كثيرا هذه اليد الصغيرة التى لا مثيل لها ··

ـ ستجد يوما يدا صغيرة ·· أصغر من يدى وأجمل من يدى ·· واقوى من يدى ··

ـ هل هى نبوءة ؟··

وقالت فوميكو فى ثقة شديدة ·· وهى تسترد يدها :

ـ انها دعوة ·· كنت دائما فتاة صالحة ·· دعواتى مستجابة سترى

***

وعاد الفنان القادم من الشرق الى بلده ··

بعدها باسابيع ·· وصلته بطاقة من هاناوا ·· كانت باللغة اليابانية·· ترجمها له أحد رجال السفارة اليابانية ·· كانت البطاقة لجبل فوجى فى فى الربيع ·· تلمع على سفحه ورود ·· وتتسلقه الخضرة ··

وكانت الكلمات تقول :

ـ « رحلت امس فوميكو الى شمسها فى السماء » ·

« وتمنت لك قبل وصولهـا أن تجـد شمسك على الأرض هـل تحسنت الامك ؟ » ·

وساعتها ارتعشت فى عينيه دمعة ولمعت فى ظلام حزنه ··

فكرة هذا الكتاب ·· عن فوميكو ·· واخواتها ·· بنات الجيشا !

★★★

أشهر مرت ·· وجد نفسه ذات صباح ·· يستعيد فى ذاكرته الطريق المورد ·· والدرجات السبع الموصلة لعيادة الدكتور هاناوا ·· بطوكيو ·· فبعث اليه ببطاقة تحمل هذه الكلمات :

« وجدت الشمس ··

« يدها صغيرة ··

« وقلبها كبير ··

« أما آلامى ·· فلم تعد آلامى » !

كان قد قرر أن يحكي مع فوميكو تاريخ الجيشا ·· وبناتها !

تاريخ الجيشا

فى نهـــاية القرن الثـانى عشر ·· ظهرت فتيــات « الشيرابيوشى » ، ينتقلن من قصر الى قصر ، ينشدن الشعر · وحكايات الأسـاطير القـديمة والخوارق فى ايقاع موسيقى ، يلون القصص المحفوظة عن ظهر قلب ، ويجذب اليها الأسماع ·· بينما كانت الملابس البيضاء الطويلة من السمات المميـزة « للشيرابيوشى » التى تعنى « عازفات الايقاع المرتديات الأبيض » !

ولعل أشهر الأسماء التى لمعت فى هذا الوقت ، وتركت أثرها زمنـــا طويلا ·· جيو ، وشزوكا ، وجيزو ·· وهوثوكى ··

ولكن الغريب أن نهاية معظم « الشيرابيوشى » كانت واحدة ·· فقـد انتهين جميعا ·· راهبات بوذيات !··

★★★

فى منتصف القرن السادس عشر ظهرت « الماشى جيشا » ·· أى جيشا المدينة والشارع !··

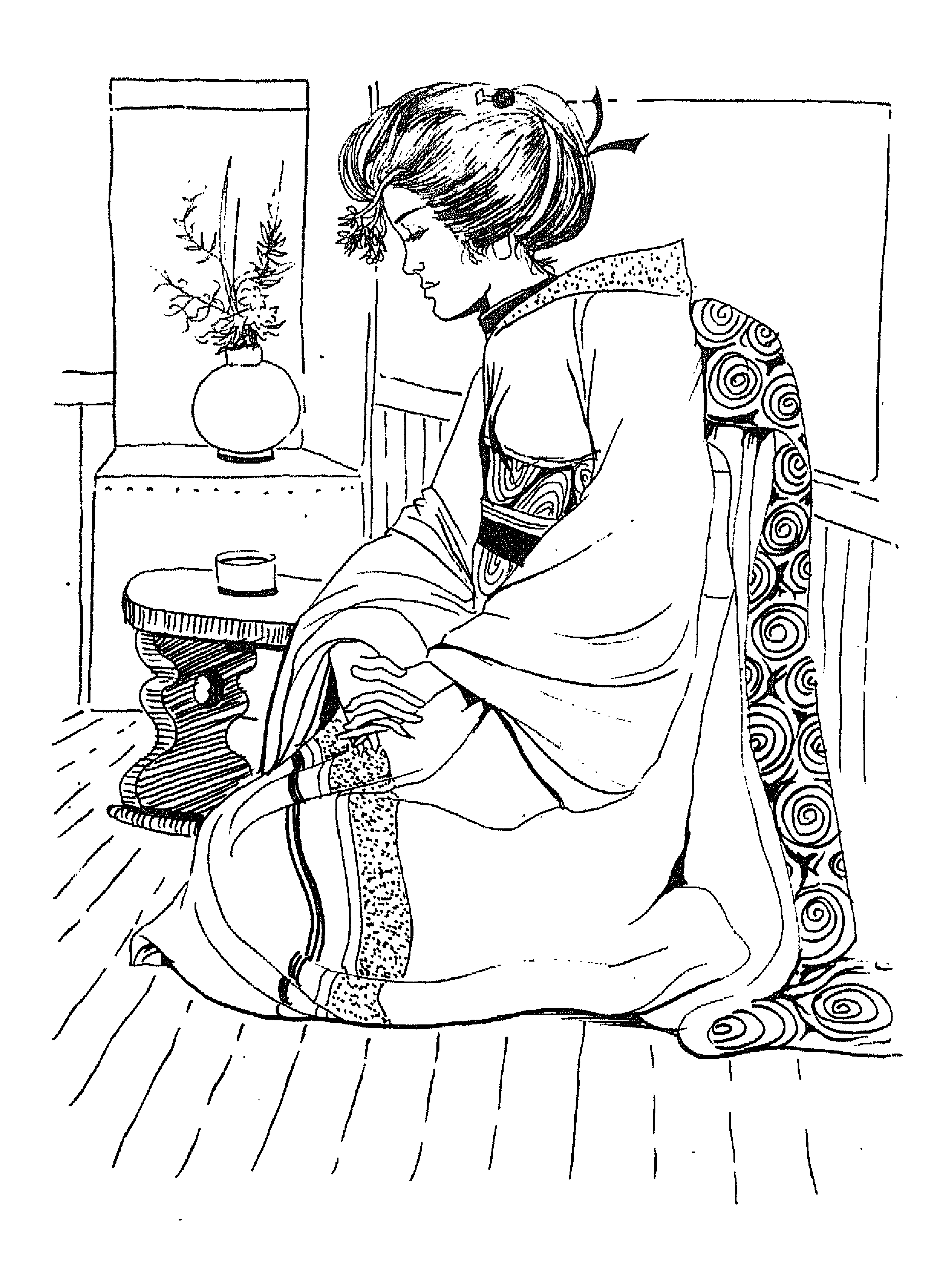
وكان الناس ينظرون لفتاة « الماشى جيشا » فى هذا الوقت على أنهـــا فتاة رصيف لا أكثر ولا أقل ·· يفضلون عليها فتاة الحمامات الشعبية !

★★★

فى القرن السابع عشر ·· اختلفت طبيعة « الماشى جيشا » ·· لم تعد الفتاة التى تنتقل فى أرجاء المدينة من شارع الى شارع وانما اقتربت كثيرا من وضعها الحالى ، فهى تعمل على تسلية رواد البيوت التى تظهر فيهـــا راقصات الأوبران المثيرات !··

ولابد أن اعتماد « الأوبران » عـلى الجنس والاثارة ٠٠ كـان السبب المباشر فى بحث الجيشا عن مواهب أخرى غير الجنس ٠٠ كالرقص الايقاعى ذى الطابع الرمزى أو الدينى ٠٠ والغناء الذى يعتمد على لمحات من القصص الشعبية وحكايات الأساطير ٠٠

ومع مرور السنوات انحدرت قيمة « الأوبران » وهو الأساس فى هذه البيوت ٠٠ وارتفعت قيمة « الجيشا » لتأخذ مكانه ٠٠ وتصل الى الصدارة الحالية ٠



فتاة الجيشا

من هى « فتاة الجيشا » اليوم ؟ ٠٠

ان آخر احصائيات اليابان تقول أن عدد فتيات « الجيشا » وصل الى ٣٥٠٠٠ فتاة ٠٠ فى طوكيو وحدها ٤٥٠٠ !٠٠

ولكن المؤشر يعلن أن العدد قد بدأ فى الانخفاض وخاصة بعد الحرب ٠٠ مما يوحى باحتمال انقراض الجيشا فى القرن القادم (!!) ٠٠

ولعل السبب أن الظروف التى تنمو بها ومن خلالها فتاة الجيشا ليست ظروفا سهلة ٠٠

« الجيشا » عادة تنبت فى عائلة فقيرة ٠٠

واحيانا ابنة لجيشا سابقة من حبيب مجهول أو أجنبى راحل ٠

وأحيانا ابنة لراقصة أو مضيفة ٠٠

« تبـاع » للتمـرين وهى فى سن مبكرة ٠٠ احيـانا فى الخامسة أو السادسة !! ولذلك لا يمكن التكهن أبدا بجمالها مستقبلا ٠ وهذا هو السر أن ليست كل بنـات الجيشا جميـلات ٠٠ والأصباغ البيضاء الكثيفة كثيـرا ما تساعد فى اخفاء الحقيقة فى براعة !

ويستمر تمرين « فتاة الجيشا » من خمس الى عشر سنوات !

والتمرين اما فى مدرسة مجاورة ٠٠ أو عن طريق مدرس خاص يعلم القراءة والكتابة والتاريخ ٠٠ والعلوم الاجتماعية !

اما الغناء والرقص ، فالأساس ، ومادة التخصص !

وفتاة « الجيشا » فى بداية دراستها ، تتعـلم من صحبتها « لجيشا » اقدم منها ، فالمشاهدة والاستماع والمزاملة الدائمة تكسبها خبرة ، فى كيفية ارتداء الكيمونو ٠٠ أسلوب الحديث ونوعه ٠٠ رشاقة الخطوات وتعـدد الرقصات ٠٠

وعندما تكتمل دراسة الجيشا ، وتصبح مستعدة ٠٠ تصبح فى نفس الوقت « هنجياكو » أى نصف جوهرة ! أو مايكو !

ترتدى الكيمونو الملون الذى يتكلف عادة خمسة ملايين ين !!

ويصبح في استطاعتها أن تظهر في بداية كل حفلة تصب للضيوف شراب « الساكى » !

وحتى هذه العملية التى تبدو بسيطة وتلقائية تخفى دراسة مجهدة حتى تعرف « الجيشا » كيف تصب « الساكى » فى رشاقة وشاعرية ، ووجهها ينحني قليلا ، بينما عيونها نصف مغمضة ·· حتي اذا ما انتهت من صب « الساكى » تنهض فى رشاقة ورأسها يهتز بخفة تسمح للأجراس الصغيرة المثبتة في الشعر أن تبعث برنينها الخافت ، مما يزيد الضيوف نشوة وهم يقرعون الأنخاب !·

وهنا تنتهى فتاة « المايكو » من دورها ·· وتتراجع الى الوراء ·· وتخرج لتفسح الطريق الى غيرها !

وفى سن السابعة عشرة يأتى اليوم الحاسم ··

أو ساعة الحقيقة كما يدعونه ···

ففى هذا اليوم تختار « الجيشا » الاسم الذى يصاحبها الى الأبد ·· وغالبا ما يكون اسما رمزيا ·· فهى قد تكون السماء أو الريح ·· أو السحاب ·· وقد تكون مسماة باسم وردة أو النار ·· أو ورقة صغيرة ·· مثل « كوسود » التي اشتهرت حتى وهى عجوز باسم « الورقة الصغيرة !! » ·

وتستطيع فتاة الجيشا ·· بعد أن حصلت على اسمها أن تعمل رسميا « كجيشا » ·

وتستطيع أن تزاول نشاطها اما تبعا لوكيلة أو لوكيل أعمال أو وحدها !

ولكن حتى فى هذا الاختيار ·· ليست الجيشا حرة تماما ··

« فالجيشا من الماروكات » هى التى تعتمد تماما على مديرة أعمالها ، هي التي تتحدث وتتعاقد وتحصل على أموالها ، وتدفع لها ديونها وارتباطاتها فى النهاية !

وهناك « الشيكي سان » وهى جيشا نصف حرة ·· تعطى نصف دخلها فقط لمديرة أعمالها ·· بينما عليها هى أن تشترى ملابسها بنفسها ··

أما « الأواك » فتحتفظ بنصف دخلها لنفسها ولكن عليها أن تدفع لنفسها ايجار الحجرة وثمن الكيمونو ! (الذى يرتفع ثمنه عادة الى ٢٠٠ر٠٠٠ ين ·· وعليها أن تشترى أكثر من عشرين كيمونو فى السنة !) ·

نهار الجيشا

« الجيشا » التى تريد أن تلمع فى المساء عليها أن تغسل وجهها بنور الفجر ! لذلك تستيقظ مبكرة استعدادا للنهار الحافل ٠

وليس هناك بداية أجمل ليوم يستقبل من خلال الزهور ٠٠ و « الجيشا » أحسن من تجيد فن تنسيق الزهور « الايكيبانا » وقد توارثت هذا الفن ٠٠ وفهمت قواعده الروحية والفنية التى تمتد الى الوراء ثلاثة عشر قرنا !٠٠ عندما كانت « الايكيبانا » شديدة الصلة بالديانة البوذية والأفكار الفلسفية المتعلقة بها ٠٠

ان الجيشا تدرك أهم قاعدة فى فن تنسيق الزهور ورمزه ، فى أسلوب سهل الالتقاط للعين ، فهى تعبر من خلاله عن نمو الحيـــاة سواء بالتنسيق الكلاسيكى أو الطبيعى ٠٠

والمبدأ الرئيسى الذى تنسق به فتاة الجيشا الزهور يقوم على التعبيـر عن ثلاثة خطوط رئيسية ترمز للوجود ٠٠ من خـــلال السماء ، والانســان ، والأرض !٠٠

وبلا شك ان نهار الجيشا الذى يولد مع اشعة الفجـر ٠٠ ومن خـــلال الاحساس العميق بجمال الطبيعة فى زهور الحياة التى تعبر فى تكوينها عن السماء فى غموضها وجلالها وأسرارها العميقة ٠٠ والانسان بمشاعره من ضعف وقوة ٠٠ وقلبه الخافق بمشاعر الحب والوجود ٠٠

والأرض بما تحمله على سطحها من أعاجيب وما تخفيه فى باطنها من حبة القمح الصغيرة الى البراكين الصامتة وأسرار التاريخ !٠

هذا النهار الذى يبدأ بالجمال والتأمل ، يعطى لفتاة الجيشا فجـــرا ليوم يشرق فى أعماقها كالصلاة ويصاحبهـــا حتى نهاية الليل ويعطيهـــا من الصبر ومشاعر الحنان ما تضفيه على كل من حولها فى عطاء غنى ٠

وعندما تشترك الجيشا فى اعداد « حفلات الشاى » تصبح أقرب الشبه الى راهبة فى محراب !٠ فالطريقة اليابانية التى يعد بها الشاى الأخضر ٠٠

ويقدم في أوان تمسك باليدين ٠٠ وتشرب على مهل ٠٠ وقطعة صغيرة من الحلوى في الفم ٠٠ والرجـل هو الذى يشرب أولا ٠٠ والجيشـا تنظر اليه بوجه مطرق وعين منكسة ٠٠ حتى اذا ما انتهى تحنى له رأسها وكأنها هى التى تشكره لأنه تفضل وشرب الشاى الذى أعدته له ! ٠٠ هذه الطريقة تجعل من « احتفال الشاى » شيئا يكاد يكون مقدسا ، محترم التقاليد ٠٠ يخضع له الجميع في استجابة وجدانية ٠٠ تكاد تكون روحية أيضا ! ٠

ان عبقرية فتاة الجيشا ٠٠ أنها تستطيع أن توهم نفسها وتوهم ضيفها ٠٠ أن غايتها الوحيدة اسعاده ٠٠ واسعاده هو فقط ٠٠ فهى لا تأكل أو تشرب الشاى معه ٠٠ وانما تكتفى بأن تطعمه أو تسقيه ٠٠ وكل ما تتناوله في يومها مجرد حفنة من الأرز المطبوخ للغذاء بينما الوقت الأعظم الذى تعطيه لنفسها هو الحمـام الدافىء تسترخى فيه ٠٠ ثم تنهض الى عمليـة ماكياج دقيقة وطويلة ٠٠ تنتهى بتصفيف الشعر على الطريقة التقليدية ٠٠ وتزيينه بالورد ٠

وأخيرا لبس الكيمونو و « الأوبى » ٠٠

ثم تتجه الى « الكيميان » وهو يقوم بمهمة تنسيق سهرتها مع الضيوف ٠٠ وتحـديد أسـماء الرجال الـذين ستستضيفهم ٠٠ ثم تتـوجه الى « الأوزاشيكى » ٠٠ وهى تستقل عربة « الريكشو » ذات العجلتين ٠٠ التى يجرها أحد الرجال ، لا تجـد غضاضة أن تعبر بهـا طرقات « طوكيـو » أو « كيوتو » الغاصة بعربات آخر طراز ٠٠

وفى « بيت الجيشا » تمتد السهرة ٠٠ وتقوم بتقديم شراب « الساكى » أو ترقص أو تغنى ٠٠ أو تتحدث ٠٠ أو تقوم بكل ذلك ! وفى نهاية السـهرة توقع مديرة البيت لها على ما يشبه « الشيك » بعدد الساعات التى عملتها ٠٠ ويصرف « الكيميان » « الشيك » ٠٠ يتناول أولا عمولته ٠٠ ويعطى للجيشا الباقى !!

تلك هى الصورة التقليدية لنهار « الجيشا » ٠

ولكن اليوم تختلف ملامح الصورة قليلا ٠٠

فقد استغنت مجموعة كبيرة من فتيات « الجيشا » عن عربة «الريكشو» ٠٠ وفى حى « شيمباشى » تمتلك أكثر من ١٠٠ من فتيات الجيشـا عربات حديثة لا يجدن حرجا فى قيادتها بملابس الكيمونو !

وهذا العدد يمثل نسبة ترتفع تدريجيا وقد عمدت بعض فتيات الجيشا في السنوات الأخيرة الى خفض مدة التمرين التى كانت لا تقل بأى حال من الأحوال عن خمس سنوات ··· الى عام أو عامين فقط ·· نظير ٢٠ر٠٠٠ تدفع الى « الكيميان » الذى يتوسط فى الأمر ··· بشرط أن تكون الفتـــاة مرتفعة الجمال · مما يشفع لها اليوم أن تقلل من فترات التمرين الى الحـد الأدنى !·

ونلاحظ اليوم أن فن تنسيق الورد لم يعد هو أساس النهار للجيشا ·· أصبح من المألوف أن تذهب فتاة الجيشا فى الصباح لتلعب الجولف ··· او تتعلم قيادة السيارات ·· أو تتجول فى المتـاجر الكبيرة مثلمـا تفعل أى يابانية !!

ولكن بالرغم من هذا التغير الواضح فى سلوك الجيشا وتفاصيل يومها ·· الا أنها ماتزال فى حلم كل رجل مهما كانت جنسيته ـ المرأة التى يتمنى أن يقضى السهرة الى جوارها تطعمه فى فمـه ، تسقيه السـاكى ، وتغنى ، وترقص له !·

ـ أما الرجل اليابانى ·· فمن أحلامه الخاصة ، وتفوقه الاجتمـاعى أن يقضى عشر أمسيات على الأقل مع الجيشا ·· حتى لو دفع فيها أكثـــر من مليون « ين » كل عام !·· ولكنه يعتبر ما يدفعه ضريبة نجاح يدفعها لحسابه عن طيب خاطر وفى ابتسامة رضاء تعطيه حق المباهاة على أقرانه ···

والرجل اليابانى المعاصر لا يبتدع سلوكا جديدا ، وانما هو احساس متوارث ، فما أكثر الرجال العظماء من أغنياء ووزراء اقترنوا ببنات الجيشا ·· اعجابا ·· وحبا ·· وزواجا !! لأن الثقة والاخلاص والحب من الصفات الأساسية فى بنات الجيشا ·· وفى تاريخ اليابان المعاصر نقرأ عن هـؤلاء الذين كانوا رؤساء للوزراء وتزوجوا من الجيشا :

هيروبومى ايتو ·· الذى تزوج كومى ·

تارو كاتسورا ·· الذى تزوج أوكى ·

ارثومو ياماجاتو ·· الذى تزوج اوريماتسو ·

ومن الزعماء الذين تزوجوا من « الجيشا »

تاكاموري سايجو ·

كيموكي سايونجي ·

كوين كودو ·

تسويوكي اينوكي ·

شيمورو يوشيدا

سوجيرو جوتو

كايورو انينوي

جينزوي كوساكا

مونيمتو موتسو ! وهو آخر سفراء اليابان في أمريكا . الذي تزوج الجيشا « كوسوزو » وكانت تعمل قبل زواجها في أحد بيوت « الجيشا » بحي (شيمباشي) !·

ان الأسماء التي كسرت قانون الجيشا وتزوجت صاحياتها ·· تتردد في همس لا يخلو من فخر على لسان فتيات الجيشا !· فلعل داخل أعماق العقل الباطني لفتاة الجيشا توجد امرأة تحن للزواج ·· أو على النقيض أخرى ترى نفسها في النهاية راهبة بوذية في أعماق دير بوذي مجهول تضيء الشموع وتحرق البخور أمام تمثال ضخم لبوذا ، وتترنم بالصلاة ··

وعلى أي حل ·· فسواء زوجة رئيس وزراء ·· أو راهبة حليقة الشعر ·· أو فتاة جيشا بالكيمونو ·· تنحني لتطعم ضيوفها ·· فان فتاة «الجيشا» تعتز جدا بنفسها وتضع نفسها في اطار محترم ·· رافضة بشدة أي مقارنة ·· أو خلط لها مع المضيفات ·· أو فتيات البارات ·· أو حتى « أنصاف الجيشا » ·· النسخة الأمريكية المزورة لفتاة الجيشا ·· التي يستطيع أي سائح أن يخلع عنها الكيمونو في نهاية السهرة . ويصور نفسه معها ببضعة دولارات يعود بعدها يحكي لأصدقائه عن مغامرة حمراء مجنونة نصفها كذب ·· ونصفها الثاني من تأثير الويسكي ··

لذلك لم تجد بيوت الجيشا حرجا · ن تنشر كتابا يضم الصور الحقيقية والأسماء « للجيشا » كدليل صادق ومرجع لكل من يريد أن يتأكد

من هي الأصل من النسخ المزيفة التى قد تبدو مطابقة « للجيشا » ولكن سلوكها وتصرفاتها أقرب الى فتاة الليل أو جليسة البار ٠٠

في دليل « أكاساكا — اودوري » — السنوي نجد أيضا صور بنات الجيشا في « اكاساكا » واسم الشهرة لكل واحدة ٠٠ حتى لا تحاول أي « جيشا » مزيفة أن تنفذ الى الأرض المقدسة :

رايكو	ساتسوكي	كوسونو
هاريوكو	سونديا	كيوا
ايكو	ساكيكو	شيكاكو
يومي	كوماشيكو	كويتو
ريكي	هيتومي	ياشيو
تموجي	ريكو	جوينكو
فوجيو	واكيدا	مومويو
يوريكو	توكيمارو	ميناكو
كويكو	يترويا	شيوكا
توموبا	شيزوكو	جنكو
ياكيوما	هيساكو	كيميدورو
ميكو	تومودورو	كاتسوكو
شوكو	كيوايا	ايكوكو
سوموكو	نامي	هروشيا
كويوكي	كوهاجي	ساياري
هيدريو	كيبوها	توشيكو
ايامي	ايزاكو	كوينمي
نوبي	ايريكو	فوجيكاما
كوهارو	اوكن	شيهارو
مينيمارو	ماتسومي	يوكيا

تومومی
توکیشیو
یومیکیو
نوریکو
هیدیجی
موربی
هاریو
سایکزو
فوان
واکیکیکو
هیتاهو
جیدو
هیدیکو
فوکیکو
هاریو
کیوجی
یوساجی
کااورو
کایو
مینوری
مسادورو
توکیاکو
شیدورو
کونی

تسوراکا
ماتسوکو
سومیکو
کویکو
تاینکو
کین
یوشیکو
تسوتای
کاسوزو
مامی
یاسو
تیرومارو
شامیکو
ماریاکو
هاتسوکو
کیماکا
شیومی
فوزیکیری
ماروکو
کینیو
کوین
أوتادورو
ماکیکو
هیدیمی

فوکابا
تامی
کیمیلو
هوتسوان
کوی
فیومی
شیو
ساتومی
کوماسکو
کیکوها
ساکی
کومامی
شیکا
ناکاکو
سیوزوکیو
سومیی
تومییا
سینجیکو
سیفومی
تاماکی
تیرواکا
میتسوجیکو
کوسای
کومیکو

كوياكو	ساى	هاريوجوكو
اياكو	كاتوكى	توشاجيكى
كازوكو	كوكو	توموكو
ماتوسورو	ميساكى	كيكونو
توميجى	ماساكو	كوريكو
كيكومى	تسوكيكو	ناتسويو
مياكو	توكيا	ايميكو
هيروكوما	كورامى	توكيكو
داكارو	كينيا	سيكو
توشى	سونوى	كوزو
ماتويا	تسوروكو	ميتسوكو
هاريد	سانكيمى	كونى

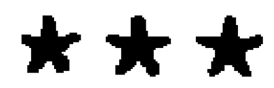
وهكذا ٠٠ من خلال هذه الوثيقة التى تحمل ١٦٨ اسما ووجها لبنات الجيشا الحقيقيات ٠٠ يستريح بال « الجيشا » من محاولات التزييف والتقليد التى كثيرا ما تطعن كبرياءهن فى الصميم !

★★★

ان هذه الأسماء السابقة لا تصنع لنفسها مجد ا٠٠ بقدر ما تعطى البريق « لاكاساكا » ٠

وفى الاحتفال الأخير ٠٠ بمناسبة مرور ربع قرن على البيت الشهير ٠٠ اشتركت بنات الجيشا فى ليالى الاحتفال برقصات جماعية ، وأكثر من دراما غنائية ٠٠ فى شاعرية واتقان ٠٠

من خلالها أعادت بنات الجيشا الى الوجود ٠٠ مشاعر اليابان العميقة ٠٠ من حب الطبيعة ٠٠ وتقديس الحب ٠٠ روح الأسطورة التى لا تمحوها الأيام ٠٠



فهاهو شارع ايدو العجوز ·· يعاد رسمه على المسرح ·· وراقصات مدرسة « فوجيما » ·· يرقصن ويغنين ·· واحدة تتقمص بائعة فراش ملون ·· والثانية بائعة مراوح ملونة ·· والثالثة بائعة فقاقيع ملونة ··

وتمتزج الألوان ·· وترقص في ايقـــاع رائع ·· وكأن قوس قزح قد هبط على المسرح يمرح ويسعد الجميع !

★★★

وتختفى الطبيعة المرحة ·· لتبدو على المسرح نبضات الدراما تحكى قصة هينا الفراشة !

فى الخلفية تبدو جزيرة نائية ··

ومع موسيقى ناعمة تتقدم هينا الجميلة وكانها تسبح فى الفضاء ·· ما تكاد قدماها تلمسان الأرض ·· حتى تقفــز من جديد الى الفضـــاء ، فى رشاقة الفراشة الجميلة ··

وهينا بالفعل كانت فراشة ·· لأن أمها كانت فراشة ·· ولكنها تحولت الى انسانة عندما احبت شابا تزوجته وأنجبت منه هينا ·

والتاريخ يعيـد نفسه ·· وها هى الابنـــة ، تلتقى بـ « شوزو » ·· ابن الأمير الذى جاء منفيا الى الجزيرة ، فالتقى بالحب !··

هينا تحب شوزو ·· وتتفق معه على الزواج ··

ولكن هناك فتاة أخرى تحبه ··

انها « كاتسو » ابنة « فومى » شريرة الجزيرة !

وفومى تبحث عن سعادة ابنتها ، فتذهب الى أم هينا تطلب منهـــا ان تتدخل لتمنع الزواج ·· والأم مكسورة القلب والجناح تقول لابنتها ان شوزو لن يكون من نصيبها ·· لأنه انسان وهى فراشة ·

وتحزن هينا ·· تحزن كثيرا ·· اكثر ممـــا يستطيعه قلبهـــا العاشق فتسرق خنجرا ·· وتقرر الانتحار ··

وتسرع اليها أمها في آخر لحظة ·· تخطف الخنجر منهـا ·· تقتل نفسها وهي تصلي الى الآلهة ان تحول ابنتها الى انسانة ··

وعندما تسرع هينا لنجدة أمها ·· لا تطاوعها قدماها الشريرتان ، لقد فقدت سرعة الفراش ·· استجابت الآلهة لدعاء الأم التى ماتت وأصبحت هينا انسانة ، وها هى الأم ·· سعيدة ·· تبتسم والدماء تنزف منها ·· وهى ترى ابنتها الانسانة بين ذراعى حبيبها « شوزو » الذى يحملها بعيدا الى السفينة التى تقلع بهما الى المدينة بعيدا ·· عن كاتسو ·· وأمها الشريرة ··

انه الحب الذى ينتصر فى النهاية يرتوى بالدم والتضحية ·

انها الأسطورة التي يؤمن بها كل يابانى وكل يابانية من الأعماق ·· حتى فى أعماق القرن العشرين بأزراره الألكترونية وآلاته الحاسبة ·· تعيد الجيشا خلق الأسطورة ·· وتعطيها كل مقومات الوجود والحياة فى حب وفن وصفاء !··

★★★

والطبيعة الجميلة ·· المتلونة ·· والمتنوعة ·· لها مكانها الخالد فى القلب اليابانى ·· والمسرح اليابانى ·· وفى « اكاساكا » ·· مسرحية من أربعة فصول راقصة تعبر عن الربيع والصيف والخريف والشتاء ··

ـ الربيع : عاشق وعاشقة فى قارب صغير يسبح مع التيار الهـادىء فى ظلال الشجر ، وانعكاسات الضياء على صفحة النهر الرائع فى ايتاكو ·

ـ الصيف : عند الغروب ·· الشمس اختفت فى الأفق ··

ونسيم يعبث بأوراق الشجر ·· والناس يخرجون للنزهة فى سـعادة واضحة ·· والمرح يدفعهم الى الجرى والانطلاق ··

ـ الشتاء : والاحساس بالوحدة يزداد عندما يقبل المساء ·· وها هى العاشقة التى تركها حبيبها وسافر ·· ترتجف بردا ·· ووحدة ·· ويمتـد بها الليل حتى يقبل الفجر وكأنه يمد يد الانقاذ فى الأشعة التى تتسلل اليهـا عبر النافذة ·

ـ الخريف : فى كيوتو ·· على نهر كامو ·· والأشجار الطويلة قـد غيرت لونها ··

الطبيعة تبدو فى اطارها الجديد لوحة كاملة الصفاء مملوءة بالشجن والشاعرية ·· وأخيرا ·· ها هو ذا الربيع يعـود مرة آخرى ·· والألوان كلها تمرح دفعة واحدة وراقصات الجيشا يتدفقن فى حيوية على المسرح ·· مشرقات كزهرات الربيع ·· يغنين للحب والجمال والطبيعة ·· آغنية مرحة مشرقة بالأمل وحب الحياة ··

★★★

ليس كل ما تقدمه « الجيشا » على المسرح يغرق فى الجمال والصفاء ·

ان روح الثأر المتأصلة فى الأعماق اليابانية تبرز أحيانا بالرغم من كل محاولات اخفائها !

وهذا ما نلمحه فى قصة ماشوزوكى ·

لقد قتل ماشوزوكى ياشودا غدرا ·

ورحلت أرملة ياشودا ·· تحمل آلامها ، وطفلها الرضيع ، مصممة فى أعماقها على الانتقام ··

وامتدت رحلتها ثلاثة عشر عاما ··

احتفظت خلالها بخبر زوجها القتيل ··

وامتد حقدها ورغبتها فى الانتقام ثلاثة عشر عاما ·

وكبر ابنها ثلاثة عشر عاما ··

وجاء القدر ليقدم لها فرصة الانتقام ·

عندما علمت الأرملة ذات يوم من أحد أصدقاء زوجها أن ماشوزوكى سيمر فى طريقه على أحد الفنادق النائية ليقيم ليلة واحدة ··

وأسرعت الأرملة ·· والانتقام الذى حبسته فى قلبها طويلا يتحـرك داخلها كالبركان الحبيس ··

تخفت فى زى راقصة عمياء ··

ووضعت على وجه ابنها قنـاعا على شكل أسد ·· وقدمت له خنجـر أبيه ··



ودخل الاثنان الى حجرة ماشوزوكى الذى كان قد شرب كمية ضخمة من الساكى ‥ ولم يعد قادرا على الدفاع عن نفسه عندما أمسكت به الأرملة ‥ واستل ابنها الخنجر من طيات ملابسه ليطعنه فى القلب ‥ وينتقم أخيرا للأب الذى مات قتيلا منذ ثلاثة عشر عاما !!

★★★

و « الجيشا » عندما تقدم الأسطورة اليابانية على المسرح ‥ تضفى عليها من الشاعرية ما يجعلها أشبه بالقصيدة ‥ بينما تقوم الموسيقى والأضواء الملونة ‥ والرسوم الرمزية بخلق جو مؤثر عميق ‥ كما فى أسطورة الأميرة كيوميهين !

التى لا أحد يدرى مقدار ما فيها من حقيقة ومقدار ما دخل اليها من خيال ‥

فى عام ١١٨٤ فى وادى « ايماى » الذى أصبح اليوم جانبا من طوكيو ‥ كانت الأميرة كيوميهين هى الزهرة المقدسة فى عيون وقلوب رعيتها ، لجمالها ، وقلبها الطيب وابتسامتها الحلوة ‥

ويبدو أن الوادى ، قد تعرض لجفاف شديد ‥ اذ امتنعت الأمطار لأشهر متوالية ‥

وفى حبها لرعيتها ‥ ولفلاحى الوادى الذين تهددتهم المجاعة ألقت كيوميهين بنفسها فى ترعة صغيرة وهى تدعو الآلهة أن يستجيبوا لتضحيتها ‥ وتمطر السماء ‥

وغرقت كيوميهين ‥ وكانت تحمل حول عنقها قلادة ذهبية صغيرة ولكن انتحارها لم يكن الا ليثير أحزان كل رعيتها ‥

أما الشاب الوسيم أوجيتوكى ، الذى كان يحبها فى صمت وعبادة فقد أحس بالألم يخنق قلبه ‥ وآماله كلها تموت ‥ فالقى بنفسه منتحرا فى نفس المكان الذى انتحرت فيه ‥

وهبت العواصف ‥ وتدفقت السيول ‥ لتصنع نهرا كبيرا ‥ يروى الوادى وينبت القمح والأرز والورد ‥

وفى المكان الذى انتحر فيه العاشقان ·· ظهر تمساحان بحرسانه قيل انهما ليسا سوى روح كيوميهين و اوجيتوكى !

★★★

ومرت سنوات ··

حتى العام ١٧١٦ ··

وعلى ضفاف النهر نشأت قصة حب عنيفة بين « يوجورو » و « أوهان » كانا يلتقيان خفية ·· يتبادلان القبلات . تحميهما الأشجار والورود من أعين الرقباء ··

ولكن الى حين ··

وعرف الأهل بالأمر ·· وتدخلا ليمنعا الحب ·· فأحقاد قديمة قد تركت جذورها فى نفوس الأسر · لم يستطع الحب الذى نشأ بين « يوجورو » و « أوهان » أن يمحوها أو يخفف من عنفها !

ولم يكن هناك مفر ··

وقرر العاشق والعاشقة أن الحل الوحيد هو الانتحار ·

لم يترددا كثيرا ·· وذات صباح كانا قد هربا ليلتقيا فى مكانهما المعهود من النهر ··

وفى عناق يائس ألقى كلاهما بنفسه الى النهر ·

ولكن روح كيوميهين المتخفية فى التمساح بمساعدة روح اوجيتوكى التمساح أيضا أنقذا العاشقين !··

ولا تنتهى الأسطورة هنا ·· كما تتوقع !!

لقد وجد يوجورو القلادة الذهبية التى انتحرت وهى ترتديها الأميرة كيوميهين فى العام ١١٨٤ !

وأرادت اوهان أن تحصل على القلادة منه !··

ولكن العاشق أحس بأن القلادة عظيمة القيمة ·· فأراد أن يحتفظ بها لنفسه ·· وتشاجرا ·· تشاجرا طويلا ··

وغضبت روح كيوميهين ··

وغضبت روح أوجيتوكي ··

وظهر كلاهما فى صورة التمساح ··

وفزع يوجورو ··

وصرخت اوهان !··

وتحدثت كيوميهين بلسان التمساح فقالت فى تأنيب ليوجورو ···

ـ ان الحب ·· أغنى من الذهب ··

وتحدث أوجيتوكي بلسان التمساح فقال في تأنيب لأوهان :

ـ لا تفقدى الحب من اجل الذهب ··

★ ★ ★

واحست أوهان بخجل شديد ··

واتفقا معا أن يلقيا بالقلادة الى الماء ··

كانا قد أدركا أن الحب ·· اغنى من الذهب ··

★★★

أحس موجورو بالندم ··

« نعم الحب ·· أغنى من الذهب ··

« الحب هو الوجود ···

« الحب هو الحياة ···

« والحب هو أحلى ما فى الوجود ·· وأحلى ما فى الحياة !

انها الأغنية التى تحفظها فتاة الجيشا « فى أكاساكا » ·· وتريد من كل انسان أن يرددها معها ··

ان الجيشـــا أول من تؤمن بالحب ·· وأول من تضحى من أجله فى مثالية مدهشة ·· بالمال والذهب وغالبا بما هو أعز ·· بحياتها !!·

والقصص التى جمعتها من اليابـــان على الصفحـــات التالية ، قصص حقيقية بطلاتها من فتيات الجيشا . تركن على مر الأيـــام وللتاريخ صفحـــات وردية بالحب ·· كتبت بحروف من دم صاحباتها ·· انها أمثلة عظيمة للحب والوفاء ، والتعبير المخلص عن نفس فتاة الجيشا وأعماقها ··· العـــامرة بالمثالية وانكار الذات !

وحتى ان كانت بعض الحوادث تبدو فى غرابتها من وحى الخيال فهى قطعة من صدق الواقع ·· ومن نسج الحياة !!

كــوى

السباحه ضد التيار !

فى نهر « كامو » باليابان اشتهرت سمكة تدعى « كوى » بشجاعتها الغريبة فى السباحة ضد التيار ...

ولا أحد يدرى ما اذا كانت الجميلة « أوكوى سان » قد اختارت هذا الاسم عن قصد عندما أصبحت واحدة من فتيات الجيشا أو أن الأمر مجرد مصادفة !..

على أى حال ، ان كل من عرف « أوكوى سان » كان يدرك أنها تهوى السباحة ضد التيار ... فهى دائما تختار ما تنفرد به عن غيرها من فتيات الجيشا .. سواء فى طعامها ، أو ملابسها أو الأصدقاء الذين تختارهم ..

فهى تعد طعامها بنفسها ، تصنعه من البقول والتوابل ولا أحد يستطعمه سواها ..

وهى تختار الوان « الكيمونو » الذى ترتديه ، غريبة عن المألوف متميزة بنقوش لا تتوفر الا عند بائع وحيد فى « كيوتو » تسافر خصيصا من أجل شراء قماشها من عنده ..

أما عن أصدقائها .. فهى حريصة تماما على أن يكونوا متميزين عن غيرهم .. فلا يهمها أن يكون صديقها ثريا ، بقدر ما يكون مختلفا عن غيره .. فنانا .. أو موسيقيا .. أو كاتبا .. فالمهم أن يكون انسانا لامعا ببريق النجاح !..

وكانت مديرة البيت تستعين بوجودها دائما فى مواجهة ضيوفها من الشخصيات البارزة ، أو هؤلاء الذين يريدون أن يتميزوا حتى فى اللحظات الخاصة . وان كانت فى نفس الوقت لا تخفى تبرمها من شخصية (أوكوىسان) التى تسبح ضد تيار البشر ، فى عناد غريب ..

والحقيقة انه لم يكن عنادا بقدر ما كان طبيعة خاصة متأصلة الجذور ·· كانت تستطيع أن تظل ساعات محاطة باهتمام مجموعة من الرجال ·· ونظرات اعجابهم تكاد تشتعل ساقطة فوق شفتيها . وتلتهب خيالا فوق ثنايا جسدها الذى تعرف تماما كيف تكسبه جمالا بالكيمونو الضيق بينما تظل هى كنجمة فى أعالى السماء ·· مترفعة فوق زحام الأعين والأيدى وخلجات القلوب !

وكانت مديرة البيت تقول لها متوسلة

ـ تبسطى اكثر مع الرجال !··

وترد « أوكوى سان » :

ـ ماذا أصنع ؟ انى أستمع لحديثهم ·· وأغنى لهم ·· وارقص احيانا ·· ماذا استطيع من اجلهم اكثر من ذلك !··

والحقيقة انها كانت تستطيع أن تعطى أكثر ·· ولكنها لم تكن لتفعل . فليس معنى أن زميلاتها يسبحن مع تيار البشر انها ستفعل ! فى أعماقها كانت تحس بأنها خلقت من معدن آخر ولهدف خاص لا تدركه بعد ···

لم تكن تحلم بالحب · فليس هناك من الرجال من اعجبها الى تلك الساعة ولم تكن تعتقد أيضا أن هناك من سيعجبها ··

حتى التقت بـ (كاتسورا) !··

★★★

لم يكن « كاتسورا » رجلا عاديا ··

وانما كان هو أيضا من هذا النوع النادر من الرجال الذين يسبحون ضد التيار ··

ولكن فى عنف وقوة والى هدف محدد واضح !

وكان هدف (كاتسورا) أن يصل الى كرسى الوزارة !!

وبالرغم من أن الأمر لم يكن سهلا ·· الا انه قد حقق هدفه !

وعندما التقى بـ « أوكاى سان » كان فى قمة نجاحه كرئيس وزراء !

★★★

أخيرا التقت بالرجل الذى تستطيع الاعجاب به ··

الرجل القوى الناجح العنيد الذى ميز نفسه عن غيره من الرجال ··

وكان (كاتسورا) عندما التقى بها يدرك أنها تسبح معـــه فى نفس الاتجاه ، وأن كليهما ضد تيار المألوف ··

وأعجبه طعامها الغريب ذو المذاق الخاص !

وأعجبه أسلوبها فى اختيار ألوان الكيمونو ونقوشه ··

وأعجبه أكثر حديثهــا الواضح الصريح الذى يسترسل حـوارا بين أسئلة مباشرة وردود مقتضبة ···

كانت (كوى) هى الند لــ (كاتسورا) ·· لذلك لم يكن من الغريب ان يختارها لتصبح خليلته !

ومرة أخرى عليه أن يسبح ضد التيار فى اختياره ···

ومرة أخرى عليها أن تسبح ضد التيار فى موافقتها !

فكلاهما يعاند التقاليد والناس · فرئيس الوزراء الذى يختار لنفسه خليلة من « الجيشا » ويسرقها من بيتها . عليه أن يواجه النـــاس وعيونهم وهمساتهم ·· وأحيانا احتجاجهم ·· ولكن « كاتسورا » لا يعبأ ··

استأجر لها قصرا جميلا ·· وأحاطه بالأسوار . والأشجار !

وبدأ الاثنان ينعمان بعلاقة من حب غريب ·· ليست حبا بقدر ما هى انسجام فى الطباع الخاصة من الطموح ·· والعناد ··

كانت (كوى) فى أعماق قصرها . وأعماق نفسها سعيدة أنها اقتلعت سعادة صعبة من وسط احتجاج الناس ·· ان التيار لم يجرفها ، وانما هى جرفته وحققت هدفها !··

وكانت تحس وهى تتنزه داخـل قصرها ·· أنها تتربع فوق مملكـــة صنعتها بارادتها ، تحول أسوارها دونها ، والعالم الخارجى الذى تتكـرر فيه الوجوه والأطماع وتستسلم لتيار المألوف فى تكرار ممل !··

★★★

واشتعلت الحرب ··

بين روسيا واليابان ··

وكانت أيام ثقيلة من المعاناة ، تركت بصماتها على نفس كاتسورا وكوى ··

فكلاهما وجد نفسه فجأة يبعد عن أحضان الآخر ··

هو بانشغال دائم فى مواجهة الحرب التى فرضت وجودها فوق كل العواطف ·

وهى بضيق وحصار مع وحدة قاسية فى القصر الذى ذاقت فيه السعادة والآن لم تعد تجد خلاله سوى ساعات الانتظار الطويلة ·· حتى يعود فى نهاية الليل متعبا مجهدا مرهق الذهن والعواطف · وخاصة أن كاتسورا كان يضطرها أيضا الى الابتعاد عن هذا القصر لفترات طويلة ، يقضيها فى مقره الرسمى ذرا للرماد فى العيون واسكاتا لألسنة الناس التى زادت حدة ابان الحرب !··

ومرت الأيام ·· سوداء ، مشحونة بالترقب ، والخوف والقلق ··

وفى النهاية ·· وبالرغم من أن اليابان كسبت الحرب الا أن الجمهور اليابانى وقتها لم يكن مستريحا للحكومة وبالذات لرئيس وزرائها ·· وبدأ يجاهر بكرهه العلنى له ·· ولم يشفع لـ « كاتسورا » أصله النبيل ، ودماء الأمراء التى كانت تميزه ·· وكانت نقطة الضعف الأولى التى يستطيع الجمهور الغاضب مهاجمته من خلالها هى عشيقته ·· كوى !··

وتوجه الغوغاء الى القصر الهادىء الذى كان عشا للغرام فاقتلعوا من حوله الأشجار ، وحطموا أبوابه ، وقذفوه بالحجارة ··

وكانت كوى بالداخل ، تنظر وتسمع فى رجفة !··

لأول مرة فى حياتها تشعر بالخوف ·· وهى ترى الأشجار الخضراء التى كبرت مع عمرها فى القصر تقتلع فى عنف ، تكسر اغصانها ، وتداس ورودها وثمارها تحت الأقدام الغاضبة ·

وارتجفت وهى تسمع ألفاظ السباب تطير اليها مع قطع الحجارة الى الداخل ··· جردوها من لفظ « ســـان » الـذى يضفى وقارا الى الاسم ·· وكانوا يهتفون فى ترديد واحد ، وهم يصفقون فى ايقاع مثير :

ـ كوى الداعرة ·· كوى الداعرة !

وفكرت كوى لحظة أن تبتعـــد عن مرمى نظراتهم وكلمــــاتهم ولكن طبيعتها المتأصلة فى السباحة ضد التيار غلبتها من جديد ···

وتقـدمت خطوة ·· ثم خطوة ·· وخطوات نحو الجمهـور الغـاضب وهى تعتقد أن فى وسعها مواجهة الغوغاء واسكاتهم ولكن الهتافات الساخرة ازدادت حدة :

ـ كوى الداعرة ··· كوى الداعرة !··

وبدأت قطع الحجارة ، تقع تحت قدميها ·· بل ان واحـــدة أصــابت كتفها ··

ولم تتراجع كوى ··

وقفت منتصبة كتمثال من العناد ·· تواجه العاصفة ··

زادت صلابتها من انفعال الجمهور وحقده ···

وارتفعت الصرخات فأصبحت لغطا هادرا ···

وتوالت قذائف الحجارة وقد أصبحت كوى هدفا حيا تحاول كل يد أن تصوب اليه اصابة دامية ···

وكوى لا تتراجع ···

كانت تنظر فى قوة أمامها ·· تقف صامدة ·· وكأنها قبطان ســفينة لا يريد أن يترك سطحها حتى وأمواج الموت تحاصره من كل جانب ···

وكانت تتحدث ·· تسأل ·· ما الذى جنته ؟·· لــماذا يريد النـــاس اقتلاعها من هذه الأرض ؟ أرضها ؟··

ولكن كلماتها ضاعت فى دوامة الصراخ !

كانت كوى تدفع ثمن كره الناس لكاتسورا ··

أو بالأصح كان الجمهور قد قرر أن تدفع كوى ضريبة وجود كاتسورا فى الحكم رغم ضيقهم به ...

كانت الثمن الذى حددوه لبقائه ...

واستطاع الغوغاء اقتحام البوابة ...

وانقضوا على « كوى » يمزقون ثيابها .. ويشدون شعرها ...

كان الأمر فوق كل احتمال ...

ووقعت كوى على الأرض والأيدى تدفعها ...

ولكنها لم تفقد تماسكها ...

نهضت من جديد ، تواجه الجمهور فى نفس النظرة الصامدة بدون أن يختلج لها جفن !..

وابتعد الناس الى الوراء خطوة .. وقد راعتهم هذه القوة النفسية .

تراجعوا فى حلقة حولها .. وسكتت أصواتهم .. واسترخت قبضاتهم وتهاوت نظراتهم فى تخاذل ...

استطاعت « كوى » أن تسلبهم شجاعتهم !..

كانت وحدها أقوى من أحقادهم .. وعندما شاهدوها تنتصب ناهضة من الأرض كالمعجزة ، أدركوا أنهم أمام امرأة خارقة للمألوف ...

★★★

وكان رجال الشرطة قد أقبلوا ...

وانفرط التجمهر ... وعادت كوى الى داخل القصر صامتة ، مرفوعة الرأس فى كبرياء ، وهى تجذب حول كتفيها ثوبها الممزق ...

كانت « كوى » قد سبحت ضد تيار الحقد .. ووصلت فيما يشـــبه المعجـزة الى شاطىء الأمان .. هى التى كانت قـد أوشكت أن تلتقى بالموت وجها لوجه !..

★★★



علم كاتسورا بما حدث !٠٠

واستثار غضبا ٠٠٠

ولكنه سرعان ما كبح جماح غضبه بسرعة ٠٠ فليس من السهل عداء الجماهير العريضة ٠٠٠ وقد فهم « كاتسورا » أن كوى فى الواقع لم تكن هدفا ٠٠٠

وانما بديلة له !٠٠٠

ولكن « كاتسورا » الذى تعود على مناورات السياسة ـ أراد أن يحول الهزيمة الى انتصار ٠٠٠ حول الهجوم على كوى ، وثورة الجمهور عليها لمصلحته ٠٠٠

اذا كانت الجماهير الغاضبة تريد فريسة تلتهمها ، أو تنفث فيها أحقادها ٠٠٠

فان « كوى » كبش الفداء ٠٠٠

ولم يتردد « كاتسورا » كثيرا ٠٠

★★★

فى الصباح التالى كان « كاتسورا » قد أعلن رسميا افتراقه النهائى من حبيبته ٠٠٠

واستسلم لمنطق جديد تماما ٠٠٠ السباحة مع التيار !٠٠

ان كرسى رئيس الوزراء ابقى له من القلب العاشق ٠٠٠

هكذا تصور ساعتها على الأقل !٠٠٠

★★★

بلغت الأنباء « كوى » خلال هؤلاء الذين جاءوا يطلبون منها فى استحياء أن تغادر القصر ٠٠

نظرت اليهم طويلا ٠٠ ولم تتكلم ٠٠٠

واحتاروا ·· لماذا لا تثور ·· لماذا لا تبكى ·· لماذا لا تلعن كاتسورا ؟ لماذا تقف هكذا كتمثال من الشمع ؟···

والتفتت فى بطء تعطيهم ظهرها ···

فى دقائق كانت قد أعدت حقيبة صغيرة ·· جمعت فيها بعض حاجياتها ·· والتفتت خارجة ··

خرجت من القصر بخطى ثابتة ، منتصبة القامة ·· ولكن الذين أعطتهم ظهرها ، استطاعوا مع ذلك أن يلمحوا دمعة كبرياء ترتعش بين رموشها !!

★★★

لم ينعم « كاتسورا » طويلا بكرسيه العظيم ··

فالجمهور الغاضب الذى انتشى بانتصاره الأول عليه عندما جرده من حبيبته ، أراد أن يحقق هدفه الأكبر ·· وهو اقالته من منصبه !··

لم تمر ثلاثة أسابيع على مغادرة « كوى » القصر ، حتى كان كاتسورا قد أبعد عن رئاسة الوزارة ليساق الى المنفى !!

★★★

وفى المنفى ·· تمتد الأيام طويلة ·· والليالى ثقيـلة على المشـاعر الغارقة فى الهم والوحدة ···

و « كاتسورا » وحده ··· يفكر كثيرا فى كوى التى تخلى عنها ··· بل وباعها من أجل الاحتفاظ بمنصبه ···

أحس بتأنيب الضمير ·· وبأنه يدفع ثمن تخليه عن حبيبته ···

وكان يقضى الليل مفتوح العينين يطل على الفراغ ، ويستحضر فى ذهنه شبح حبيبته « كوى » ويخيل اليه أحيانا أنها تتقدم اليه عبر الفراغ · فينهض واقفا ممدود الذراعين ليصرخ فى لهفة وصوت جريح :

ـ كوى ·· كوى !···

وكان صوته يعود اليه مع الصدى ، غريبا ، تعسا ·· معذبا ·· وكان من حوله يرددون ــ فيما بينهم ــ احتمال أن يكون « كاتسورا » قد أصيب بالجنون ···

كانت الأزمة السياسية قد هدات ···

وبدأ الجمهور الغاضب يتعاطف مع بطلى القصة الغرامية التى أدانها !···

وعندما أرسل « كاتسورا » للمسئولين يناشدهم استدعاء « كوى » الى مقره ·· لم يجدوا حرجا فى الاستجابة لطلبه ···

★★★

كان كاتسورا مستلقيا على فراشه يهذى من حمى أصابته فى منفاه ·· عندما فتح باب حجرته ·· وتقدمت اليه كوى ·· كان كاتسورا قد أعد نفسه لاحتمالات هذا اللقاء من قبل ··

وكان قد ردد لنفسه آلاف الكلمات التى سوف يقولها ، يطلب بها الغفران ·

ولكن بمجرد أن وقفت كوى أمامه ·· فى كبرياء المها ، ماتت كل الكلمات على شفتيه ·· واصطكت أسنانه ، وبرودة غريبة تسرى فى أعماقه ·· بينما ظل جبينه مشتعلا بالحمى ·· ثم أحس بالعرق البارد يتجمع ليسقط فى عينيه ··

مد ذراعيه اليها ·· فى لهفة ·· وفى حنينه يقبض على الهواء ولكن « كوى » لم تتقدم لتعانق لهفته ·· أو تستجيب لليد الممدودة ·· احتفظت بمسافة من الجفاء ·· أحس « كاتسورا » أنه لن يستطيع أن يعبرها ·· فانهار مكانه باكيا ··

وهنا ·· غالبت « كوى » كل عنادها ·· وبقايا كبريائها ···

كان فى وسعها أن تفهم ·· وأن تغفر ·· فلقد ذاقت من قبل الى جواره نعيم الحياة والسلطة ، وكان فى استطاعتها أن تدرك الثمن الباهظ الذى يدفعه الانسان أحيانا للاحتفاظ بمجده ·· أحيانا من خلال نفسه وأحيانا بالتضحية بالآخرين ···

تقدمت اليه ·· ورفعت وجهه اليها ···

مسحت العرق البارد الذى تجمع على جبينه ·· واخيرا وجد صوته بصعوبة ليهمس فى استجداء :

ـ كوى سامحينى ···

لم ترد ·· وانما انحدرت دمعة من عينها . مسحتها بسرعة لتقول فى كبرياء ·

ـ نحن جميعا ابناء الخطأ ·· فكيف يغفر أحدنا للآخر ···

وعاد « كاتسورا » يلح مستجديا ، وهو يمسك كتفيها بيدين مرتعشتين·

ـ كوى ·· سامحينى ··

ـ أنت وأنا ضحايا ·· فكيف لا يغفر أحدنا للأخر ! ··

وكان صوتها لايزال مملوءا بالكبرياء ··

وكانت قوى « كاتسورا » قد تداعت تماما ·· فالقى بنفسه على « كوى » · متشبثا بها كغريق يخاف أن يجرفه اليم !

ـ سامحينى ··· سامحينى ···

ـ كاتسورا ·· المسكين ··

ـ سامحينى ·· قولى انك تسامحيننى ··

وارتجفت لوجهه الضائع المريض المستنجد واحست بقلبها الطيب يرتجف من أجله وهتفت بين شفتيها :

ـ أسامحك ···

وخرج صوتها جريحا كالأنين !··

هدأ لحظة ·· وفجأة عاد جسده يرتجف ·· وكانما يريد أن يتأكد مما سمعه فراح يردد :

ـ كوى ·· اغفرى ·· اغفرى لى ··

وهمست كأنها صدى كلماته :

ـ كاتسورا ·· اغفر ·· اغفر لك ···

فى اللحظة التالية ·· كان قد هدأ على صدرها كطفل نال الغفران ··

وفى الصباح التالى ·· كان جسد « كاتسورا » قد هدأ ·· والى الأبد ··

وكانت « كوى » تغادر حجرته مرتفعة الوجه ···

مشت خارجة فى خطى ثابتة ···

ودمعة ترتعش بين أهدابها ···

★ ★ ★

بلا تردد حلقت « كوى » شعر رأسها تماما ··

وأصبحت ممرضة بوذية ···

وعرفت « المرضة كوى بأنها الوحيدة التى تملك الشجاعة لأن ترعى أشد الحالات المرضية خطرا ·· لم تكن تخاف من عدوى ·· أو تخشى الما ··

كانت تدخل فى صراع مستمر مع الموت عندما يقترب من مرضاها ···

كانت سعادتها الوحيدة عندما تنتصر عليه وتهزمه وترى الحياة ترتجف من جديد فى عيون هؤلاء الذين فقدوا أمل الحياة ···

★ ★ ★

وفى نهاية العام ـ ١٩٤٨ ـ كانت « كوى » السمكة التى سبحت عمرها ضد التيار تحاول معاندة الموت الذى جاء يتحداها ···

ولكن جسدها الواهن الذى حارب طويلا ··· تخلى عنها ···

سقطت وهى تعبر الطريق ·· فى طريقها الى معبدها البوذى ·· والذين شاهدوا وجهها ·· راعتهم نظرة الكبرياء التى لم تفارقه ·· ولم تتخل عنه حتى فى مواجهة الموت ··



اوكيكى

ذات الحظ !

كانت « أوكيكى » أو « ذات الحظ » فتاة فى التاسعة عشرة ، كل ما فيها يوحى بأن اسمها المقترن بالحظ يطابق تماما ما تبدو عليه من سعادة تنعكس ببسمة مشرقة على شفتيها وبخفة ظل تلازمها دائما فى مواجهة كل من حولها من بشر ·· سواء زميلاتها فى « بيت الجيشا » أو رئيسة البيت وصاحبته « فومى » أو الزوار الدائمين بكل ضجتهم وضجيجهم ·· وأحيانا متطلباتهم العديدة والغريبة ! والتى تعرف « أوكيكى » كيف تدور حولها ولا تستجيب لها مباشرة ·· فلا تغضب أحدا ··وفى نفس الوقت تحافظ على جسدها سليما نضرا لمن ستحبه فى يوم من الأيام ··

ولم يطل انتظارها لهذا اليوم ··

ذات مساء كان أمامها « تسورو ماتسو » جاء مع بعض الأصدقاء ·· وكان « ماتسو » هو الآخر خفيف الدم ، يحفظ مجموعة هائلة من الحكايات والنكت ويتقن فن القائها ·· وليلتها ضحكت « أوكيكى » من قلبها وهى تسمع نكته ·· ولأول مرة فى حياتها « كجيشا » تجد أن هناك غيرها من يقوم بوظيفة « اسعاد » الآخرين !··

وبدأ « ماتشو » يتردد كل أسبوع على « البيت » وفى كل مرة كان يأتى بحكايات ونكت جديدة تضحك لها أوكيكى !··

وازدادت معرفتهما ·· وباتت تترقب ليلة حضوره فتهتم بجمالها اكثر من العادة ·· وتستقبله فى لهفة لا تحاول اخفاءها بل انها لم تكن لتسعد فقط بقدومه أو حديثه وانما بالانجذاب تشربها معه بلا تحفظ ···

وذات ليلة كانت « الساكى » قد اذابت تحفظهما ·· ووجدت « أوكيكى » نفسها فى أحضان « ماتسو » وهما يضحكان معا لنكتة أطلقها ·· وعندما هدأ

اثر النكتة ظلت مستكينة بين ذراعى « ماتسو » .. الذى صمت لحظات قبل أن ينحنى ويقبلها .. وازدادت سعادة « أوكيكى » والحظ يبتسم لهما أكثر من خلال هذا الحب الذى نما فى قلبها ، ليزيدها اشراقا وجمالا ، واستبشارا بالحياة ..

وخوفا أن ثور « فومى » لهذا الحب .. وتدينه وهى تلمح فيه بداية لزواج يتعارض مع تقاليد الجيشا .. عرفت « أوكيكى » كيف تخفى حبها وتقنع حبيبها بلقاءات مختلسة بعيدا عن عيون زميلاتها ..

ولكن عين « فومى » الثابتة لم تكن لتضلل بسهولة ..

وكانت تخشى أن تتطور العلاقة أكثر ، فتخسر أهم جيشا فى البيت الذى بذلت جهدا كبيرا فى ادارته وكسبه شهرة جعلته يتخطى أى منافسة .. وكانت قد فكرت فى نصح « أوكيكى » ولكنها عدلت فمن خبرتها أن هناك لحظات لا يضرب فيها الحديد وهو ساخن وأن « أوكيكى » العاشقة لن تستمع الى النصح بأذن مطيعة ، بقدر ما ستزداد تمسكا بحبيبها .

ورفضت أيضا « فومى » فكرة أى مواجهة مع « أوكيكى » أو تهديد بابعادها عن البيت .. فهى « الجيشا » الأولى .. أصغر وأجمل .. عن غيرها .. ومحط أنظار مجموعة كبيرة من الرجال يحتفظون ببطاقة «أوكيكى» الملونة فى محافظهم ويعطون عنوانها لأصدقائهم المخلصين ..

لا .. لا يمكن لـ « فومى » أن تخسر « أوكيكى » أو حتى تغامر بخسارتها .. وازدادت حيرتها مع الأيام .. وطالما فكرت فى الأمر وأحجمت عن اتخاذ أى قرار ..

حتى كان اليوم الذى جاء فيه القرار وحده ..

فى ذلك الصباح .. وبالتحديد فى الثالث من سبتمبر ١٨٥٦ كان القنصل الأمريكى « تاونسد هاريس » يضع قدمه فى شيمودا .. تاركا بوسطن مقره الأول وراء ظهره ، كان القنصل الأمريكى يريد أن يعيش اليابان .. ويفهمها .. ولم يجد حرجا أن يكتب الى المسئولين فى بلده يطلب اعتماد ميزانية جديدة لما أسماه « مصاريف اجتماعية خاصة » .. تركزت هذه المصاريف فى طلبه لأربع من فتيات « الجيشا » يقمن فى قصره .. تحت أى لقب آخر .. موظفات .. وصيفات .. بينما الوظيفة الحقيقية أن يجد القنصل متعته بشكل يبعد عنه شبهة التردد بنفسه على بيوت الجيشا ..

واجيب « تاونسد هاريس » الى طلبه ٠٠ وضم فى قصره اربعا من أجمل جميلات الجيشا ٠٠

ولكن طبيعة تاونسد العابثة وميله الى الدعابة ، وبالاضافة الى رغبته العميقة فى التحرر من ثقل وظيفته الرسمية ، كل ذلك جعل مهمة الفتيات صعبة فى ارضاء هذه الطبيعة !٠٠

ولجأ المسئولون عن راحة « تاوند » الى خبرة « فومى » ٠٠

وكانت « فومى » جاهزة بالحل · وخاصة امام الاغراء المادى الضخم الذى منيت به ٠٠

كانت تدرك فى اعماقها انها ستفقد « أوكيكى » سريعا ٠٠ وبدلا من أن تفقدها لهذا الشـــاب النزق الذى لا يجيد سوى القاء النكت ٠٠ تبيعهـــا الى القنصل الثرى ٠٠ وتستفيد من الصفقة ٠٠

ووجدت « أوكيكى » نفسها فى زيارة لا تفهم طبيعتها مع « فومى » لقصر القنصل ٠٠ وبسرعة اكتشف تاونسد أن « أوكيكى » هى تماما « النوع » الذى يستطيع اسعاده ٠٠

وادركت « فومى » قبل نهاية الزيارة انها قد اصابت الهدف ٠٠ ولكنها عادت تحسب حسابات الفشـــل ، اذا ما جـــرت « أوكيكى » عواطفهـــا الى « تسوررو ماتسو » ٠٠ وكان لابد من تصرف سريع ٠٠

وأضمرت فى نفسها أمرا ٠٠٠

اذا كان لا يمـــكن التخلص من « تسوررو ماتسو » فمن الممـــكن شراء قلبه !٠٠

ولم تتردد . قالت للمسئولين أنها فى حاجة الى مبلغ مغر لـ « تسوررو ماتسو » حتى يختفى من الميدان !٠٠

واستجابوا لطلبها غير واثقين بالنتيجة ٠٠

ووازن « تسوررو ماتسو » بين المبلغ المغرى الذى يشترى به مستقبله فى المشاريع التجارية التى يحلم بها ٠٠ وبين علاقته بـ « اوكيكى » التى كـــانت

كل دلائل نموها تشير على عقد زواج وارتباط ‥ ومزيد من أعباء الحياة ‥ لم يكن يحبها بطبيعته المنفتحة العابثة ‥

وكان قرار « تسورو ماتسو » كما توقعت « فومى » التى تدرك موازين الطبيعة البشرية ، وثغراتها الضعيفة فى مواجهة المادة ‥

عد « تسورو ماتسو » المبلغ الضخم الذى أعطى له ‥ وفى اليوم التالى كان يرحل عن اليابان كلها ‥ تاركا بطاقة مقتضبة الى حبيبته معتذرا عن تكملة قصة الحب ‥ ومشروع البيت الذى يلوح فى المستقبل ويمرح فيه الأطفال ‥

بكت « أوكيكى » وانهارت على الأرض ‥ ورفعتها يد « فومى » برفق ‥ واحتضنتها وقالت لها فى اشفاق ام عرفت كيف تجيد تزييفه ‥

ـ هذا ما كنت أحسب حسابه من أول الأمر ‥ هذا النوع من الرجال لا يعاشر ، ولا يعتمد عليه ‥ وكنت من الأول أحاول تحذيرك ، ولكن خفت أن تفهمينى بشكل خاطىء ‥

والقت « أوكيكى » المسكينة بنفسها على صدر « فومى » واجهشت فى بكاء طويل ‥ وهى تقول وسط دموعها ‥

ـ كم أنت مخلصة يا أمى « فومى » ‥

ولم تتعجل « فومى » ارسال « أوكيكى » الى القنصل تاونسد ‥

انها فى ذكاء أرادت أن تكون فترة « النقاهة » أمام عينيها ‥

وتحدثت طويلا خلال الأيام التالية مع « أوكيكى » تسدى لها النصح ‥ وتحلل معها نوعيات الرجال ‥ حتى اختارت لحظة هدوء مناسبة لتقول بشكل عابر :

ـ لقد سأل عنك القنصل تاونسد أكثر من مرة ‥ كان يريد أن يراك ولكننى اعتذرت له ‥

وانتظرت « فومى » أن تسمع تعليق « أوكيكى » ‥ ولكن الأخيرة ظلت صامتة ‥

فى اليوم التالى كانت « فومى » تضع باقة كبيرة من الورد فى حجرة « اوكيكى » ، وتسلمها فى لا مبالاة مصنطعة بطاقة القنصل · وعليها جملة « تمنياتى بالشفاء » ·

وخرجت « أوكيكى » من صمتها وقد استفزتها جملة « الشفاء » وقالت فى كبرياء ، وهى ترفع وجهها لتواجه نظرة « فومى » :

ـ الشفاء ؟·· ومن قال انى مريضة ·· ان قلبى سليم ·· وجسدى سليم ، امتلك كليهما الآن ·· وأستطيع أن اصنع بهما ما أشاء !··

★ ★ ★

فى اليوم التالى كانت « اوكيكى » فى طريقها الى قصر تاونسد ··

وفى نفس المساء كانت « فومى » تبتسم وهى تحصى المبلغ الضخم الذى وصلها من القنصل مع كلمة شكر رقيقة لخدماتها !!

بقلب مجروح ·· بدأت « أوكيكى » صفحة جديدة من حياتها ·· وارادت أن تبدأ هذه الصفحة فى واقعية شديدة ·· لم تخدع نفسها فى حقيقة وضعها فى قصر تاونسد ·· وبالرغم من أنها أمام الخدم والزوار كانت « وصيفة » ·· ولكنها كانت تدرك انه من غير المألوف أن توجد « وصيفة » فى بيت لا يضم بين جوانبه امرأة غيرها !··

وقررت أن تكون هى « المرأة » و « الوصيفة » ··

وحتى تساعد « أوكيكى » طبيعتها الأولى الميالة للمرح أن تطفو من جديد فوق سطح احزانها ·· بدأت تشرب ·· والشرب يساعدها أن تفتعل المرح ثم أن تصدقه ··

كانت تشرب قبل كل لقاء مع تاونسد ··

ثم بدأت تشرب مع كل لقاء ··

وانتهت بأن تشرب بعد كل لقاء ··

فلم يكن من السهل عليها أن تعطى جسدها لتاونسد بالرغم من رقته معها ، بدون أن تلغى عقلها ، وتخدر حواس داخلية وافضة لأى نداء وجدانى

بلا اعماق من حب حقيقى ·· كانت الخمر احيانا تساعدها على الهروب من نفسها فى أحضان تاونسد ··

وأحيانا كانت الخمر تزيدها انتباها ·· فتتامل نفسها من الخـــارج ، وكأنها تشاهد امرأة أخرى تعطى نفسها لرجل لا تحبه ··

وأحيانا كانت تحس انها تكاد تفقـد عقلها . وهى تفقـــد جسدها ·· فتستسلم أكثر فى شرب الخمر ·· وتخرج الى الطريق هاربة من نفسها ·· وتواجهها عيون الناس تتطلع اليها ، وكانت تحس بالخجل يخنق كيانها ·· وحتى الملابس الثمينة التى كان تاونسد يشتريها لهـــا يوميا . كانت تزيدها خجلا واحساسا بالمهانة ··

وفى مرة سمعت من يهمس خلفها فى الطريق :

ـ ها هى عشيقة الغريب !··

التفتت فى حدة لتجد امرأة تحدث زميلة لها وهى تشير اليها ·· وفى ذلك راحت « أوكيكى » تصفعهـا فى شدة . صفعـات متتـالية ·· وتجمهر الناس ·· وجرت « أوكيكى » خجلة مشحونة بالالم والمهانة ·

كانت ساعتها قد ادركت ان اسمها الذى اقترن بالحظ لم يعد اسمها ·· فقدته الى الأبد ، لتحصل بدلا منه على هذا الاسم الجديد الذى يعلق بهـــا كالوصمة ··

« عشيقة الغريب » !··

ومرت الأيام ثقيـــلة ·· غارقة فى الألم ·· والاستسلام الى اليأس والخمر ··· ولم يكن تاونسد نفسه ليستطيع مواجهة هذا التغير من سيىء الى أسوأ ·· فبدأ يعد عدته للعودة الى بوسطن ··

وأدركت « أوكيكى » نيته ·· وأحست بشعور غريب وجديد انهـــا لم تحب تاونسد ·· ولكنها اعتادت عليه ·· اعتادت على لمسات يديه ·· وعلى دفء جسده ·· واعتادت أن تتلاشى معه فى دوامة السكر . وتتوه داخلهـا كل معالم حقيقتها كأنثى وأرادت أن تكون هى البادئة بانهاء علاقتهما ·

وتركت القصر ···

ولكنها مدفوعة بادمان عادة وجودها معه ·· سرعان ما عادت بعد ثلاثة أيام ··

ولم يسألها تاونسد أين كانت ··

استقبلها كما كان يستقبلها كل مساء ··

تناولا العشاء معا ··

وشربا ·· وسكرا معا ··

وتلاشت فى احضانه من جديد ·· مفتوحة العينين على ضباب من الشعور لا يستطيع أن يجد شكلا ··

وبعد أيام كان تاونسد قد رحل ··

ترك لها كمية من المال تصونها لبضع سنوات ··

ولكن ادمانها الخمر بشدة ·· جعل « البنات » تنساب بين يديها كالبخار ·· وأحيانا كانت « أوكيكى » تحاول أن تحلل بينها وبين نفسها طبيعة علاقتها بتاونسد ·· وتتفهم لماذا تحس بهذه الوحشة الجارفة بعد سفره ·· وتزداد حيرة ·· هل هذا الشعور يعتبر نوعا من الحب ؟ ولكنها بلا وعى تجد نفسها مشدودة الى ذكرى « تسورو ماتسو » وتجد نفسها بالرغم من كل شىء لا تستطيع نسيانه ·· فطعم شفتيه لايزال عالقا فى أعماق ذكرياتها ·· بل كم من مرة تجد نفسها تضحك وهى تتذكر احدى نكاته ··

وتدهش وهى تجد دمعة قد تسللت من أهدابها المطبقة لتنحدر على وجنتها !··

★★★

وتقدم جون بارليكورن ليلعب دوره فى حياة ذات الحظ ··

كان قد سمع عن قصة « أوكيكى » مع تاونسد ··

وقد أراد طوال الوقت أن يعرف ما هو السحر الخاص الذى تملكه هذه السكيرة لتصبح العشيقة الرسمية لهذا القنصل الغنى الوسيم الذى كان يستطيع استبدالها بأحسن منها ··

ولأن جون بارليكورن من هـذا النوع من الرجال الـذى يسأل السؤال ويبحث الاجابة بنفسه •• ولا يهدأ حتى يقتنع بها •• فقد سعى الى التعرف بـ « أوكيكى » بنفسه ••

★★★

كان التعارف سريعا ومقتضبا ••

عرف بارليكورن اسم البار الذى تتردد عليه « أوكيكى » •• وجلس الى المائدة المجاورة ••

وفهمت « أوكيكى » أنه يرغب فى الحـديث معها •• ولعل حنينهـا الى الرجل الأمريكى قد ساعدها على معرفته •• وبعد ساعة من تبادل الشراب •• والحديث •• أدرك بارليكورن أنه أمام بقايا قلب محطم •• تحاول صاحبته استرجاع بقاياه فى شجاعة لمواصلة الحياة ••

ومع ذلك لم يتراجع •• كان قد قرر أن يتوغل أكثر ويذوق من الكأس التى استمتع بها القنصل السابق ••

وتركته « أوكيكى » يفعل ••

ومرة ثانية عادت تغرق نفسهـا فى الشراب •• وتستـلهم فى ضباب السكر ملامح هلامية ترفض أن تتلاشى ، وترفض أيضا أن تدع المكان لصورة جديدة ••

وأدرك جون بارليكورن •• أنه يحتوى جسدا بلا روح •• وأن رعشات هذا الجسد النضر ليست رعشات حب •• بقدر ما هى انتفاضات طائر حب ذبيح يبحث عن عش فى الشتاء •• فلا يجد سوى بقايا من قش ••

وكما فعل تاونسد من قبل فعل بارليكورن ••

حمل حقائبه ورحل مبتعدا ••

وعادت « أوكيكى » •• وحيدة مع الكأس •• والفـراغ •• وضـباب الذكريات ••

★★★



وذات ليلة بعد الكأس الثالثة ·· فى ركنها الداكن الذى عرفت به فى البار ·· رأته ··

هو بلحمه ودمه ··

« تسورو ماتسو » جاء يبحث عنها ، بعد أن أصبح تاجرا ثريا ·· جاب العالم ·· وعاد يكفر عن ذنبه ·· ويدفع للقلب الذى عذبه حسابه ··

كان اللقاء حارا ··

ونسيت « أوكيكى » كل عذابها

ونسيت أنها تعانق من جديد القلب الذى غـدر بها واحالها الى هــذا الكيان المدمن ··

ونسيت نفسها ·· وضحكت ·· ضحكت كثيرا والدموع تغرق وجنتيها وتتسلل بين شفتيها وهى تقبل حبيبها العائد من الأعماق البعيدة ··

وكان الحظ ·· يبدو أنه عاد « لذات الحظ » ··

واستمرت السعادة تضىء شموعها الملونة داخل قلب « أوكيكى » ··

وطوال الوقت كان تسورو ماتسو يريد أن يعترف ·· ان ينال غفرانها ·· أن يحكى لها الحقيقة ·· فيؤجل لحظة المواجهة ، ويغرق نفسه مع حبيبته فى احضان الحب ··

وهنا تعود « فومى » الى مسرح حياة « أوكيكى » ·

كانت بعد سفر تاونسد وباركيكورن قد وجدت الوقت مناسبا لاسترجاع « أوكيكى » الى حظيرة الجيشا وخاصة أن روادها كانوا دائمى السؤال عنها ·· بينما كانت ظروف البيت نفسه تمر من مرحلة قاسية فرضتها منافسات لبيوت جديدة أحاطت به ··

ولم تكن « فومى » تتوقع ان « أوكيكى » فى حالة السكر التى وصلت اليها ستجد ملاذا آخر سوى « فومى » وبيتها وخاصة بعد أن استنفدت كل ما تركه تاونسد لها · ولم تكن « فومى » ــ حتى فى كابوس ــ مريضة لتتوقع أن يأتى « تسورو ماتسو » عائدا من أركان العالم المجهول ، غنيا كشبح أسطورى ، ويكسب من اللقاء الأول مع « أوكيكى » غفرانها !!

ومع ذلك قررت « فومى » أن تواجه الأمر سريعا ٠٠

ذهبت تعرض على « أوكيكى » أن تكون الجيشا الأولى فى بيتهـــا مرة أخرى ٠٠

ولكن « أوكيكى » فى نشوة قبلتها من وجنتيها وهى تقول :

ـ اعذرينى أيتها الأم العـــزيزة فومى ٠٠ سأسافر ٠٠ مع ماتسورو ماتسو ٠٠

ـ تسافرين معه ٠٠ بعد كل ما حدث ؟٠٠

ـ ان ما حدث قـد حدث ٠٠ ومات ٠٠ والحقيقـة الوحيدة أن تسورو عاد ٠٠٠٠ وسيحملنى معه لنتزوج ٠٠

ـ سيتزوجك ؟٠٠

ـ نعم ٠٠ سيتزوجنى ٠٠

ـ أخشى عليك من هـــذا الزواج ٠٠ ان تسورو ماتسو لا يؤتمن على الاطلاق ٠٠ سيهرب منك مرة أخرى ٠٠

ـ فى المرة الأولى كان شابا يبحث عن مستقبله فى أنانية الشباب أضعف من مواجهة بيت فيه زوجة منتظرة وأطفال يتعجلون الطعام ٠٠

ولم تتمالك « فومى » حقدها وغيظها ٠٠ انها لم تتعود أن تخسر ما تبنيه ٠٠ وقررت أن تضرب ضربتها الكبرى ٠٠ وتكشف الحقيقة ٠٠

احتضنت « أوكيكى » فى رقة متزايدة ٠٠ وتركت دموعها تنحـــدر فى مواجهتها ، وجعلت كلماتها ترتعش فيما يشبه الألم الصادق وهى تقول :

ـ « أوكيكى العـزيزة ٠٠ ذات الحظ ٠٠ سامحينى ٠٠ سامحينى لما سأقص عليك ٠٠ اننى أقامر بحبك لى من أجل الحفـــاظ عليك ٠٠ ان تسورو ماتسو هو الذى باعك لتاونسد !٠٠

ارتجفت « أوكيكى » ٠٠ وهى تسمع التفـاصيل ٠٠ ولكنهـا أرادت أن تسمع حتى النهاية ٠٠ تجمـدت من فرط الألم ٠٠ ولكنهـا ظلت كالجنـــدى الشجاع وهو يتلقى طلقات الرصاص فى صدره ٠

ولم تنحدر من عينيها دمعة واحدة ٠

وفى النهـاية رفعت وجه « فومى » لتواجههـــا فى نظرة خاليـــة من الشعور ..

ـ اذهبى الآن .. أيتها الام « فومى » ! ..

★★★

عادت « فومى » تتوقع أن تمر الأزمة .. وتعود « اوكيكى » الى بيت الجيشا ..

ولكن « اوكيكى » لم تعد الى بيت الجيشا ، ولم تلحق بتسبورو ماتسو ..

اكتشفت جثتها فى صـباح أول أيام يناير من عام ١٨٨٨ كانت متكفئة على وجهها فى بركة ماء يحيط بها الجليد ..

وعلى فرع شجرة جرداء ، وقف غراب أسود .. يطل عليها .. وكأنه ينعيها فى صمت ..

★★★

ولمدة طويلة ظل مقرها الأخير مجهولا .. فقد دفنت فى مقبرة نائيـة غير معروفة فى شيمودا .. حتى بنى لها الكاتب المعروف شيموش موراماتسو .. قبرا جميلا فى طوكيو .. غرس حوله الزهور بنفسه .. الزهور الحمراء التى تحبها .. والتى اهداها لها ذات مساء ضائع عندما كان شابا يتـردد على بيوت الجيشا .. ولم ينس أبدا « أوكيكى » .. ذات الحظ .. التى جعلته يضحك طويلا عندما كان تعيسا ذات مساء .. ونسيته بعدها .. فى بحثها عن حب هـارب .. أما هو فلم ينس ابدا .. ذات الحظ .. التى تنكر لهـا الحب .. والحظ ..

أويوكى

المتمنعة !

كيوتو فى عام ١٩٠٣ ..

وفى حي الجيشا « جيونبوزد » فتاة فى العشرين تخلب لب الرجال لفتنة أخاذة ، تعكسها بشرة ناصعة البياض جعلت اسمها « هاتسويوكى » او « الجليد الأول » مناسبا لها الى حد بعيد ، مع فارق واحد .. انها لا تملك من الجليد سوى نصاعة بريقه فقط ، أما فى داخلها فنار تلتهب فى كلماتها ، وشفتيها ، ونظرات عينيها تزداد سحرا مع الرموش السوداء التى تجعل لكل لمحة وكل نظرة ايقاعا من الفتنة التى لا تقاوم ..

ومر عام منذ أن انضمت الى بيت الجيشا ..

ومر عام تال .. وعشاق « هاتسويوكى » يزدادون عددا ويزدادون رغبة .. وهى تزداد نضجا وجمالا .. وتمنعا !..

ولكن تمنعها لم يحبط من عزيمة الرجال على المحاولة لغزو قلبها واكتشاف هذا الجسد الرائع المختفى وراء الكيمونو الأبيض .. الذى لم تكن لتغير لونه أبدا .. حتى قيل أنها تملك مجموعة من الكيمونو المتشابهة لا يمكن التفرقة بينها !..

بعد فترة من محاولات يائسة من جانب عشاقها ، أدركوا أن لا فائدة من طلب اكثر مما تعطيه « هاتسويوكى » طواعية ..

وهى لا تعطى أكثر من ابتسامات .. وأغان .. ورقصات .. وتودع عشاقها حتى الباب .. تنحنى لهم انحناءة رشيقة أكثر منها راضخة .. وتتمنى لهم أحلاما سعيدة !.. تزيد خيالهم اشتعالا !..

وكسبت « هاتسويوكى » اسما جديدا ·· انعموا عليها به كاللقب اعزازا وتقديرا ·· لقد أصبحت « أويوكى » « الجليد العظيم » !··

وفرحت « أويوكى » باسمها الجديد ·· اذ كان يعطيها قيمة خاصة فى نظر زميلاتها ·· ولكنها لم تكن لتدرى أن ثمة لقبا آخر يتداوله الرجال فى حديثهم عنها سرا ويضيفونه الى اسمها فتصبح « أويوكى » المتمنعة !··

***

وجاء المليونير الأمريكى « جورج مورجان » الى كيوتو لأول مرة تسبقه شهرته وملايينه ·· واتجه ذات مساء الى حى « جيونبوزد » وفى نيتـــه ان يشترى كل النبيذ والساكى وبنات الجيشا قبل أن يكمل جولته حول العالم ··

وبالفعل شرب حتى الثمالة ·· ومهدت له ثروته الطريق الى اجمـل بنات الجيشا ·· حتى أحس فى النهاية أنه قد شبع تماما ·· واستقر رايه بعد أن انقضى الشهر أن يكمل رحلته فى اليوم التالى ··

وذهب « جورج مورجان » فى نفس الليلة الى بيت الجيشا الذى تلمع فيه « أويوكى المتمنعة » وهو يضحك من أعماقه لهذا اللقب الذى سمعه يتردد ·· فقد تعلم جورج أن المال يفتح كل الأبواب المغلقة ·· حتى لو كانت هــذه الأبواب قلوب البشر ·· وكان قد تراهن مع نفسه أن تكون « أويوكى المتمنعة » هى احتفاله الخاص يقدمه لنفسه قبل أن يكمل رحلته ·· فى الصباح التالى·· وعندما اقتربت منه « أويوكى » لتنحنى ·· وتقدم له نفسها ·· كان مثل غيره من الذين سبقوه الى المكان ·· قد بهر بوجهها الصافى ونفذت نظرة عينيهـا الى أعماقه فى لحظات ·· وما كادت تجلس الى جواره ، ويمتد بهما الحوار ·· حتى اكتشف ذكـــاء نادرا اكتسبته « أويوكى » بخبرتهـــا العظيمة فى الاستماع ، والتقاط الجوانب العميقة فى اى حديث ··

وكانت « أويوكى » ·· تصب لجورج الساكى ، وتغنى ، وترقص ، حتى أحس أنه محاط بعشر نساء ·· وأحس بدفء عميق يتسرب الى داخله ·· وحسب أن الليل الذى يتقدم سيحسم الأمر عنـــدما ينهض عائدا الى البيت الأنيق الذى استأجره لشهر اقامته ·· وكان على ثقة تامة أنها ستصحبه رحلة المساء الطويل حتى أحضان الفجر ·· وليذيب مقاومتها كان قد خلع أحـــد خواتمه الماسية الثمينة وأعطاه لها ··

تراجعت « أويوكى » قليلا ·· وتأملت الخاتم الثمين ·· ولم ترتعش رموشها فى انبهار كما توقع « جورج مورجان » ·· وهزت رأسها وهى تقول له :

ـ شكرا ··

وفى اللحظة التالية كانت ترجع الخاتم قائلة :

ـ ارجوك أن تعيده الى مكانه ··

ـ ولكنه هديتى لك ··

ـ لا استطيع أن اقبل هدية ثمينة الى هـــذا الحـــد ·· لأننى لا أملك الوسيلة التى أرد بها ··

واحس جورج أنه تعجل ·· لقد طعن فى توقعاته ··

وحاول أن يتدارك الأمر قائلا :

ـ انها مجرد تذكار لصداقتنا ··

ـ لا تكفى ليلة واحدة لنصبح أصدقاء ·· فالصداقة تحتاج الى معرفة اكبر ووقت لنمو هذه المعرفة ·· وأنت تسافر غدا ··

ـ وكيف عرفت ؟··

ـ أنت الذى قلت أنك مسافر غدا منذ لحظات ··

كان « جورج مورجان » قد نسى تماما الحوار الذى غرق فى « الساكى » الذى أسرف فى تناوله ·· لابد أنه تحدث عن نفسه طويلاً ·· ولابد أنه وسط ما قاله أنه يسافر فى اليوم التالى ·· وفى هذه اللحظة كان قد استقر رأيه أن يعدل عن السفر ·· على الأقل حاليا ·· حتى ينتهى من « موضوع » أويوكى ·· فلقد اعتبر جورج مورجان أنها « صفقة » لم تتم !·· وهو الرجل الموفق فى كل مشاريعه لا يجب أن يتخلى عن صفقة مهـد لها . مادامت لم تحقق له النتيجة المرضية ·· وبعقلية المليونير الذى يتحرك كما يشاء وكيفما شاء كان داخليا قد أجل سفره تماما عندما انتهى المساء ·· وصحبته « أويوكى » حتى الباب لتقول له باليابانية :

ـ « سايونارا » ·· أى وداعا ··

ورد جورج فى ابتسامة واسعة تبتلع كل أفكاره الداخلية لتحقيق الصفقة العاطفية التى عقدها مع نفسه وبطلتها « أويوكى » :

ـ لا ·· لا تقولى وداعا ·· لأننا سنلتقى غدا !··

ولم تتمالك « أويوكى » نفسها ·· وارتعشت أهدابها لحظة لهذا القرار ·· ولكنها تمالكت نفسها بسرعة ·· وفى ذكاء أخذت رأسها فى تحية هربت فيها من تطلع عينيه الى عينيها !··

★★★

فى المساء التالى ـ تأخر جـــورج فى حضوره ·· وكانت « أويوكى » التى جلست مع بعض الرواد ·· تتطلع الى الخارج من وقت لآخــــر ·· أو تستطلع الوقت ، وهى فى دهشة من نفسها ·· فهى ليست معجبة بـ « جورج مورجان » على الاطلاق ، وعللت الأمر لنفسها أنه مجرد حب استطلاع ·· هل هو بالفعل عدل عن سفره أم كان الأمر مجرد انفعال وقتى تحت سحر نظراتها المذابة فى تأثير الساكى ·· ولم تستمر طويلا فى تشككها لقـد جاءت مديرة البيت تقول لها هامسة أن جورج قد حجز مكانا للسهرة كلها ·· وحجزها هى ايضا بالاسم ··

هزت « أويوكى » رأسها فى اقتضاب ·· ونظراتها لا تفصح شيئا لمن حولها ·· بل انها تعمدت أن تظل مكانها لحظات ·· قبل أن تنحنى معتـذرة وتخرج صاعدة الى الحجرة العليا ، حيث كان « جورج مورجان » ينتظر واقفا يتحرك فى قلق لم يحاول اخفاءه ··

صافحته فى ابتسامة رسمت فى جوانبها تحفظـا ظاهريا ·· وكـانت « أويوكى » قد أدركت أنه لابد قد دفع مبلغا مضاعفا حتى يقنع مديرة البيت أن تترك روادها لتلحق به ، حيث انه لم يحجز المكان من الصباح كما جرت التقاليد ·· فلماذا لم يفعل ؟·

لايمكن الا يكون قد تنبه لذلك ·· هو الواسع الخبرة ؟ هل كان فى نيته الا يحضر ·· أم كان يفكر فى السفر ·· ولعل جورج بعينه الثاقبة قد أدرك ما يجول فى خواطرها من أسئلة ·· اذ سارع يقول :

ـ لقد ضاع منى النهار فى عمليـات متوالية نتيجة لتأجيـل سفرى ·· حتى لم أستطع الاتصـال بـ « الكمبان » لأحجـــز مكانى الى جوارك الا فى المساء !··

وقالت وهى تقدم له الشاى الأخضر :

ــ هل انت نادم ؟..

ــ لا .. بالطبع .. والا لكنت الآن فى عرض البحر !..

وأحس جورج بالدهشة وهو يراها تصب له الشاى مرة أخرى ..

والتفت حوله متوقعا قدوم جيشا اخرى تحمل الساكى .. او زجاجات الويسكى التى طلبها بمجرد وصوله ..

ولاحظت « أويوكى » حركته ، فقالت معتذرة :

ــ هل يضايقك ألا تشرب الليلة ؟..

ــ لماذا .. لا افهم لذلك سببا ..

ــ حتى نتبادل الحديث فى حرية اكثر ..

ــ فى حرية أكثر ؟.. ماذا تعنين ؟..

ــ أعنى أن اكون أنا وأنت على انفراد ..

ــ ولكننا على انفراد ..

ــ لا .. عندما تشرب سنكون ثلاثة انا .. وانت .. وزجاجة الخمر .. والزجاجة ستجعلك تقول ما لا تعنى .. أو تعنى ما لا تقوله ..

ــ ولكننى تعودت على الخمر ..

ــ وأنا تعودت على كل الرجـال شاربى الخمور .. بالأمس اريت أن تهدينى هدية ثمينة ..

ــ نعم .. الخاتم .. ولقد رفضته ..

ــ الليلة اطلب منك هدية اثمن .. أن تتخلى عن الخمر ..

نظر جورج اليها طويلا فى محاولة لقراءة أعماقهـا .. ولكن عينيهـا واجهتا عينيه فى اخلاص أذاب شـكه .. ولكنـه لم يستطع أن يتخلص من الحيرة فى تفسير دوافعها .. ولكنه اطاع .. وهو يحس انه يدخل فى تحـد مع طبيعته ، ولكنه بعد لحظات سرعان ما أحس بالراحة تسرى فى أعماقه ، وبأن الخمر لم تعـد تلح على باله بالدرجة التى تصـورها .. بل احس فى وجدانه بصفاء عميق .. وبنوع من متعة الانتبـاه الحقيقى الى « أويوكى »

بكل لفتاتها ·· بكل كلمة تقولها ·· بل انه استمتع بالالعـــاب البريئـــة التى علمتها له ·· ودهش جورج وهو يجد نفسه على مسافة بعيدة من رغبـات الليلة الماضية ·· احس بعاطفة حميمة تتسرب الى أعماقه فى يسر وسهولة ·· كشراب سحرى مذاب فى العسل ·· وبدأ يتطلع الى « أويوكى » وكأنه يراها فى ضوء جديد ·· لفت نظره بياضها الناصع ·· بياض يوحى بأعماق صافية ·· واكتشف لأول مرة الجمال الغريب لأناملها الانسيابية الدقيقـة الشكل ··

ولاحظ فى انبهار كيف تركع الى جـوٰاره كأنها تبتهـل لاله الحب ·· الشىء الوحيد الـذى كان يثيره ، ويسـتفزه غموض ابتسامتهـا التى ترسم نفسها فى نهايات الجمل ، كنقط نهاية لا تقبل المزيد ، وتنهى كل المعـــانى فى عذوبة أشبه بحاجز لا يقاوم ··! كانت ابتسامتها تستوقفه وتربكه ·· وخياله يطبع قبلة مشتاقة على شفتيها ، وكأنه يريد أن يسلب هذه الابتسامة ويقتلعها لنفسه ، ويذيبها فى قلبه ··!

كان جورج مورجان الذى لف العالم من قبل ·· والتقى بمئات النساء واتخذ عشرات الخليلات ·· ينظر قبل لقاء « أويوكى » الى الحب نظرة مخالفة تماما ·· كان الأمر بالنسبة له ملكية واستحواذا له ثمنه وله وقته ·· ولو كان يملك أن يعقد فى علاقاته اتفاقيات محددة الوقت والثمن لفعل ·· وقـد علمته الحياة من خلال الثراء الذى أفسد الكثير من أحكامه ·· أن الحب أخذ وعطاء ·· وبقدر ما أراد أن يأخذ عليه أن يعطى ·· والمرأة فى كل ذلك هى قطعة من المجوهرات قد تكون ثمينة ·· أو قد تكون مزيفة لا يهم ·· وانمـا المهم انه يستمتع بها لفترة ما ·· حتى يحس بالملل يتسرب الى نفسه ·· فينهى العلاقة برحلة جديدة ·· تعطيه المبرر للاعتـــذار عن الاستمرار ·· وتقوم الأيام بالباقى ·· وان كان جورج لا يفوته من وقت لآخر أن يتذكر أعياد ميلاد عشيقاته أو صديقاته ·· بباقة ورد أو هدية تذكارية مما يعطيه دائمـا صفة « الجنتلمان » التى كان حريصا عليها تمــاما ·· وفى هـذا المساء ·· أمام « أويوكى » التى غيرت الكثير من طبــاعه خـلال ليلتين ، لم يتمالك أن يسأل نفسه صراحة ·· وذهنه الصافى الخالى من تأثير الخمور يستجيب له ··

ـ الى أين مع هذه اليابانية الرائعة ؟··

وكان الرد يأتيه واضحا بلا تردد من سواد عينيها الرائعتين :

ـ لا يهم الى أين مادمنا سنكون معا ··



ولليلة بعد ليلة ·· كان « جورج مورجــان » يلتقى مع « اويوكى » فى المساء فى بيت الجيشا ·· وفى الصباح يزوران معا المعـابد والحـدائق ·· وبدا اصدقاء جورج مورجان ·· والمستفيدون منه ·· يحسون بالقلق لهـذه العلاقة التى شدته منهم الى هذا الحد ·· وتطوع بعض الخبثاء باذكاء الحقد فى قلب صاحبة البيت الذى تعمل به « اويوكى » فهى لم تعد مخلصة للرواد كما يجب ·· والخبثيات واضحة ·· انها تعطى كل وقتها « لزبون » واحد !
وثارت صاحبة البيت ·· فى وجـه « اويوكى » ·· وهددتهـا ·· وحاولت « اويوكى » أن تخفى الأمر على جورج ·· ولكن العلاقة التى كانت قـد نمت بينهما لتصبح حبـا ·· كانت قـد كسرت كل حواجز التكلف والكـذب ·· فعيناها اصبحتا كتابه المفتوح ··وشفتاها هى رصيد حيـاته ·· وابتسامتها هى فجر كل آماله ·· لذلك لم تستمر « اويوكى » كثيرا فى محاولة اخفـاء الأزمة ·· والقت بنفسها بين أحضانه لتبكى ··

وعاد جورج مورجان فى لحظة واحدة الى طبيعته الحاسمة كمليونير يتخطى العقبات بسلاحه الذى لا يخيب ··

فى دقائق كان قد توجه الى المديرة ليدفع لها ٥٠٫٠٠٠ دولار ويشترى حرية « اويوكى » الى الأبد !··

★★★

بكت « اويوكى » ويلا من السعادة ··

وقبل أن تسأل ·· ماذا ستصنع الآن بحريتها ·· كان جورج مورجان قد عرض عليها الزواج · وعادت تبكى من جـديد ·· وهى لا تصدق انهـا أصبحت بالفعل زوجة « جورج مورجان » الذى يملك شراء حي الجيشا بأكمله ·· ولكنه الحب ··

★★★

رحلت « اويوكى » لتمضى شهر العسل فى باريس التى كانت تشاهدها فى الصور فقط ··

وكان النـــاس فى « الشانزليزيه » و « مونمارتر » و « سان جرمان » يشاهدون منظرا جميلا ومثيـــرا ·· امريكى طويل القامة يحتضن يابانيـــة

ناصعة البياض رقيقة الملامح ·· وغالبا ما يتوقفان ليتبادلا ضحكة ·· أو قبلة مملوءة بالحنان !··

***

وامتد شهر العسل فى أمريكا أيضا ·· ولتسع سنوات كاملة !··

وفى قمة سعادته ·· ونجاحه ·· وثروته ··

وفى أحضان زوجته المحبة مات « جورج مورجان » ··

وورثت « أويوكى » الجيشا اليابانية ثروة « مورجان » الأمريكى المليونير ··

واشتعلت من حولها الأطماع ·· والأحقاد ·· واحاطوها بأرقام كاذبة وبيانات خاطئة عن ثروة زوجها وديون وهمية ··

واحست « أويوكى » المسكينة ·· انها وقعت فى بئر بلا قرار ··

كم تكره الدولارات ·· وكم تكره منطق الأرقام وكم تكره كل محاولات التزلف لها من أجل الثروة التى تركها زوجها ··

وخلعت « أويوكى » البياض الذى كانت دائما ترتديه ·· لترتدى السواد ··

وذات صباح بحثوا عنها فلم يجدوها ··

رحلت فى ملابس الحداد عائدة الى كيوتو ··

ولكن كيوتو فى عام ١٩٣٨ كانت أيضا قد تغيرت ·· رحل بعض الأصدقاء ·· مات البعض الآخر ··

وعاشت « سيدة الجليد » وحدها فى شتاء وحدتها حتى أدركت الثانية والثمانين ··

وماتت لتترك الثروة التى ورثتها ينقض عليها كل الطامعين !··

تسوما كيتشى

ارادة الحياة

منذ أن كانت فى السابعة كانت تحلم بحياة « الجيشا » ..

وكان حلمها واقعيا .. حلم يقظة يتكرر كلما صحبتها أمها لتشترى شيئا من أحد المتاجر الكبيرة وتصر الطفلة أن تذهب الى حيث ملابس الجيشا كاملة ترتديها مانيكانات الخشب فى الحجم الطبيعى ، يبتسمن مفتوحات الأيدى .. وكانت الطفلة تعتقد أن الأيدى المفتوحة تدعوها .. ولم تكن تدرى أن هذه الأيدى انما تمتد لتكشف دقة صنع الأكمام وجمال « الكيمونو » .. وقد تجرأت الطفلة ذات يوم ، وتسللت من تحت الحاجز النحاسى المحيط بمانيكانات الخشب .. وراحت تتحسس بأصابعها الصغيرة الملابس المغرية .. وتجرأت أكثر فأرادت أن تشارك واحدة لبسها .. وهنا تنبهت لها البائعة ..

وجاءت الأم الغافلة تعتذر للبائعة وتصفع الصغيرة .. وهى تجذبها الى الطريق .. وسألت الطفلة وسط دموعها لماذا لا تشترى الأم كيمونو ، وصاحت الأم من جديد وهى تقول :

ـ لست مجنونة .. هل تعلمين كم ثمن الكيمونو ؟ انه ۱۰۰ر۰۰۰ ين !!

وقالت الطفلة ملحة ولم تجف دموعها بعد :

ـ اذن اشترى لى كيمونو صغيرا ..

وردت الأم ولهجتها مازالت مشتعلة بالغضب :

ـ حتى الكيمونو الصغير لا نملك ثمنه ..

ولم تكن الصغيرة لتستسلم بسهولة ، فجمعت كل ما تملك من اصرار الطفولة ورفعت الى أمها عينين متوسلتين لتقول فى استجداء :

ـ اذن دمية صغيرة .. ترتدى الكيمونو ..

فكانت المساومة قد وصلت نهايتها ، ولكن امكانيات الأم الفقيـرة كادت تنهزم لقلبها الذى بدأ يلين !··

وقرأت الطفلة فى عينى الأم ترددها ·· فجذبت يدها تقبلها ثم قفزت الى وجنتيها ·· غير عابئة بتمنع الأم التى كانت منـــذ خمس سنوات تقوم بدورها المزدوج كأم ·· وأب أيضا ! ··

وكانت الطفلة قد استلهمت بذكاء قلبها الأخضر رضوخ أمها ·· فقالت :

ـ هل وافقت يا أمى العزيزة ؟ ··

ـ ولكن ·· دمية الجيشا ·· هى أغلى أنواع الدمى ··

ـ لا أريد سوى أصغر دمية ·· أعدك ·· سأحافظ عليها ·· سأتخلى عن مصروفى فى سبيلها !··

وحصلت الصغيرة أخيرا على دميتها ، اشترتها لها الام الفقيرة بعـد عشرة ايام طويلة من الانتظار ·· وبعد أن تخلت الصغيرة عن مصروفها !··

ولكنها كانت سعيدة ·· فحملتها بين يديها ·· دمية صغيرة ولكن كاملة الشبه بفتاة الجيشا ·· كاملة الملابس ·· وهذا هو المهم ·· انها تستطيع أن تفك ملابسها قطعة قطعة ·· ثم تعيدها فى رفق ·· وتلف الحزام الحريرى الطويل ·· وتصفف لها شعرها الأسود من جديد ·· وتغرس فيه الورد ·· وهى فى كل ما تفعله تغنى لهـا ·· وتحدثها كأخت تحبهـــا ·· وكان لابد للدمية من اسم ··

فاختارت لها اسم « تسوماكيتشى » ··

ولم تكتف الصغيرة أن تغنى لتســوماكيتشى وتحدثها ·· كانت تجلسها برفق على وسادتها ·· ثم تغلق باب الحجرة ·· وتبدأ ترقص لها !··

وكانت ترقص فى سعادة ·· واندماج ·· وحب ··

وذات صباح فتحت الأم الباب برفق ، وقد أقلقها الأمر وذهلت !·

كانت ابنتها ترقص فى براءة غريبة ·· وهى ترتدى ملابس الجيشا ··

ملابس صنعتها بنفسها من ملابس قديمة وبقايا من قطع قماش ·· وغطاء قديم !··

وبغتت الطفلة ·· وتجمدت فى مكانها · وهى تتوقع العقاب ·· ورفعت يدها بلا وعى تحمى وجهها ··

ولكن الأم لم تصفعها ، ولم تنهرها ، اكتشفت فجأة أن ابنتها فى العاشرة ·· وأنها تجيد الرقص !·· واكتشفت ايضا أن شكلها جميل فى ملابس الجيشا !··

كانت الأم تقف أمامها فى صمت وتحسب كم ستتكلف ابنتها الصبية حتى تصبح « جيشا » !·· ولم تفهم الصبية سببا لهدوء الأم وصمتها ·· ودهشت لأنها تركتها بعد لحظات وانصرفت بلا كلمة تأنيب ·

وتوقعت الصبية كل التوقعات ماعدا أن تعود الأم ومعها « مدرسة رقص » !·· ومن يومها بدأت صناعة الحلم الكبير !

وعندما ادركت الرابعة عشرة كانت ترقص فى براعة مذهلة وحصلت على شهادة رقص يصبح من خلالها دخول عالم الجيشا سهلا وميسورا ·

وكانت الأم التى أرهقها العمر والعمل ·· قد قررت أن تسافر بها الى « أوساكا » ·· ولكن المرض اشتد بها ·· وذات مساء قارس البرد ·· كانت تقبل ابنتها فى ضعف وتطلب منها أن تسافر وحدها ، تضع فى يدها بعض « الينات » وتحذرها من غدر الرجال ·· ان أباها لم يمت وهى فى سن الثانية كما قالت لها من قبل ولكنه هرب من البيت !!

وتنحنى تقبل وجنة الأم الذابلة · وهى ترتعش للمفاجأة التى سمعتها !

كانت فى ذلك المساء قد أوشكت أن تدرك السابعة عشرة ·· وكانت قد بدأت تتطلع الى الحب ·· وأدركت ساعتها أنه ليس حلما ورديا كما تصورت يغلف وجه رجل ·· فها هو الأب الذى طالما فكرت فيه ·· وحاولت رسم ملامحه من الخيال ليس أكثر من رجل خائن لزوجته ، هارب من بيته ·· !

وتركت أمها وفى قلبها حسرة مضاعفة ·· فى أعماقها شعور بالذنب ، انها ايضا تتخلى عنها ·· ولكن لا مفر

فكما قالت لها أمها ٠٠ فالبيت الذى تذهب اليه فى « أوساكا » تديره امرأة قاسية القلب لن تنتظر حضورها اكثر من مسافة الطريق ٠٠ والفرص لا تتكرر ٠٠٠

مسحت دموعها وسافرت ٠٠ ودميتها الصامتة الى جوارها فى القطار تنظر اليها فى براءة ٠٠٠

واخيرا وصلت الى العنوان ٠٠ « بيت شجر الجبل » ٠

استقبلتها « اواى » مديرة البيت ٠٠ ورائحة الخمر تفوح منها ! وتفحصتها طويلا ٠٠ ثم طلبت منها أن ترقص وتغنى ٠٠ وعندما وجدتها تجيد الرقص والغناء انبسطت أساريرها ٠ ونادت بصوت مرتفع على زوجها الذى جاء شاحبا زائغ النظرات فطلبت منها « اواى » ان تعيد عليه مرة اخرى ما سمعته وشاهدته ٠٠ وتابع الرجل الرقص بعين منتبهة ٠٠ ولمحت فى نفس الوقت ستة وجوه نسائية تتجمع حولها وتجلس فى حلقة ٠٠ عرفت فيما بعد ان البيت لا يحوى غيرهن ٠٠ زميلاتها فتيات الجيشا !

وقالت « اواى » فى نهاية الرقصة لزوجها :

ـ لا بأس بها ٠٠ انها تصلح ٠٠ اعطها الحجرة الصغيرة ٠٠

والتفتت تسألها :

ـ ما اسمك ؟

واختارت بملازا تجيبها ٠٠ فقد جرت العادة ان تختار بنات الجيشا اسما للعمل ٠٠ وبسرعة استقر رأيها وقالت : « تسوماكيتشى » فى بساطة أعطت لنفسها اسم دميتها !٠٠ وصحبها الزوج الى حجرتها ٠٠ واعطاها غطاء ٠٠ ولم تكن « تسوماكيتشى » تدرك وهى تستقبل ليلتها الأولى فى « بيت شجر الجبل » انها تكتب فصلا جديدا فى مأساة حياتها ٠٠ ولكنها لم تتمالك أن تحس برجفة باردة تستقر فى اعماقها ، ونظرات الزوج تنفذ الى داخلها ، وكأنه يستقرىء شيئا مجهولا ٠٠ أو يبحث عن اجابة لسؤال خاص لا أحد يعلمه سواه ٠٠ وما لبث أن تحرك عائدا من حيث أتى ، واقدامه تترك صوتا غريبا أشبه بخطوات فهد جريح يتحرك على الأرض الخشبية !٠

ابدت « تسوماكيتشى » نشاطا ملحوظا منذ الأيام الأولى ٠٠ وازداد عدد الزوار الراغبين فى معرفتها ٠٠ سمعوا عنها من زملائهم ٠٠ وجاءوا



يتحققون بأنفسهم من مقدرتها الرائعــــة على الرقص والغنــاء ٠٠ وكانت « تسوماكيتشى » بقلبها الذكى تخشى أن تثير غيرة زميلاتها فكانت تبذل جهداً خارقا للتودد الى كل واحدة ٠٠ وأصبحت الأخت والصديقة وكاتمة الأسرار المحببة التى يؤخذ رأيها ـ بالرغم من صغر سنها ـ فى ادق الأمور ٠٠

كانت الحياة القاسية التى عاشتها « تسوماكيتشى » مع أمها الفقيـرة قبل أن تاتى الى « أوساكا » قد اعطتها خبرة فى ممــارسة الحيـــاة وفهم اعماقها ٠٠ لذلك لم يفتها أن تكتشف الجفوة الحـــادة التى بين « اواى » وزوجها ٠٠ وكثيرا ما كانت تســـمع بعد أن ينفض زوار البيت مشاحنات حادة تتردد بين الجدران الخشبية الرقيقة التى لا تقـــوى حتى على حجب الهمسات !٠٠

وسرعان ما استنتجت « تسوماكيتشى » ان هناك ازمة ثقة عنيفة بين الزوج وزوجته ٠٠ تشتعل لحالة اللامبالاة واللسان الحاد الذى تواجه به « اواى » زوجها ، وهى تعود متأخرة تترنح من جولات مجهولة فى الخارج ! ورائحة الخمر تسبقها ٠٠ ويبدأ الحوار الذى طالما سمعته « تسوماكيتشى » يتردد عنيفا بين الزوجين ٠٠

ـ اين كنت الى هذه الساعة ؟

ـ ليس الأمر يخصك !٠٠

ويبدأ الزوج ينفجر غضبا ٠٠ ولكن الكلمــــة الأخيرة كانت دائمـــا لـ « اواى » ولسانها الحاد ٠٠

وعندما كان الزوج يحتد ثائرا لرجولته والكبرياء الجريح فى نفسه كانت « اواى » فى قسوة تذكره أن « بيت شجر الجبل » انما هو بيتها هى ٠٠ خلقته ٠٠ وصنعته ٠٠ قبل أن تعرفه ٠٠ وانه يستطيع ان يرحل فى أى وقت اذا كانت حياتها لا تعجبه !٠٠

وكان الزوج المسكين يصمت ٠٠ ويسـدل الستار على غضـــبه مع الفجر ٠٠ ليبدأ اليوم الجديد مستسلما يمضغ هزيمته فى سكون !٠٠

وكثيرا ما كـــانت « تسوماكيتشى » تحس بأن البركـــان المحتبس فى أعماقه الحزينة لابد سينفجر يوما من الأيام !٠٠

وكثيرا ما كانت تخشى أن ينتهز الرجل الجريح فرصة وجود زوجته السكيرة بالخارج ليهجم معتديا على واحدة من الفتيات ولكنها كانت تعود فتطمئن بألا ·· فان خوفه من زوجتـه القوية كان يجعله دائمـــا فى وضع العاجز سواء معها ·· أو مع غيرها !··

ورحل الشتاء ··

ذابت الثلوج ··

وأورق الربيع حول « بيت شجر الجبل »

وبدات « تسوماكيتشى » تكتشف جمال الطبيعة التى ترقص حولها فى ألف لون ·· واشترت ألوانا وقماشا من الحرير وفرشاة ناعمة ·· وبدأت تعلم نفسها الرسم ··

وبنفس المقـدرة الرائعة التى اصبحت فيهـــا « جيشا » ·· أصبحت « تسوماكيتشى » رسامة ! وبدأت لوحاتها الصغيرة تزين جدران البيت من الداخل ·· وتكسبه لمسات مشرقة من الجمال ··

ومر الربيع ··

وجاء الخريف ·· ثقيلا موحشا ·· يثير الرجفة وعـــدم الاطمئنان والمشاجرات بين « اوآى » وزوجها تزداد عنفا ·· وفترات غيـابها خارج البيت تمتـد الى الفجر ·· والزوج الجريح ·· لا يملك سوى أن يشتعل ·· ثم يرضخ فى النهاية على مضض والبركان داخله يزداد اتساعا ، تكـاد « تسوماكيتشى » تلمح حممه فى شرايين عينيـه ·· بل انهـــا اكتشفت أن معاملته لها ولزميلاتها ازدادت غلظة ·· وأدركت أن حقده قد امتد من زوجته التى لا يستطيع عقابها الى بنات جنسها ·· وأقرب هذه البنات الى نبضة حقده وغضبه هى وزميلاتها (!!)

وذات ليلة ، وريح باردة تعوى بالخارج ، كان الزائر الأخير قد خرج منذ نصف ساعة ·· وهجعت الفتيات كل الى حجرتها ·· عنـــدما أحست « تسوماكيتشى » بأقدام « اوآى » تتسلل خارجة ·· وارتجفت فى مكانها ·· فالساعة متأخرة ·· والزوج بالخارج ·· وقد يعود فى أى لحظة ولا يجد زوجته ·· ولكنها عادت تهز رأسها فان ما قد يحدث ، قد حدث من قبل ·· مشاجرة عنيفة تنتهى ·· بمصالحة رضـــوخ من جانب الزوج ·· وازدياد

« أواى » ادمانا ٠٠ وصلفا ٠٠ وقسوة ، وبعـــد نهار طويل من العمـل ٠٠ والفناء ٠٠ والمعاناة وجدت « تسوماكيتشى » نفسها تستسلم للنوم ٠٠

★★★

فى نفس الوقت كان زوج « اواى » يخرج من دار قريبة للسينما ملتهب النفس ، بعد أن شاهد فيلما مثيرا عنوانه « قتل عشرة » ٠٠ وكان يقارن فى داخله بين استسلامه اليائس لزوجته المنحرفة العضيفة وبطل الرواية الذى قتل عشر نساء بسيفه ٠٠

ولم يفلح الهواء البارد ان يطفىء النار التى اشتعلت فى أعماقه بل ازدادت إشتعالا طوال الطريق من دار السينما الى « بيت شجر الجبل » ٠

وأطل الرجل المشحون بالغضب على حجرة نوم زوجته ٠٠

كان الفراش كما هو على الأرض لم يمس ٠٠

وكانت « اواى » بالخارج ٠٠

وهرع بلا تفكير الى حجرته واستل سيفه القديم ٠٠ وهو ينادى عليها فى عنف ٠٠

ورددت الجدران الخشبية الرقيقة صيحاته ٠٠

ولكن « اواى » لم تكن هناك لترد ٠٠

وفى موجة جنون كبت طويلا ٠٠ انفجر البركان داخله ٠٠

ومن حجرة الى اخرى كان الرجل يوقظ الفتيات بحد سيفه !٠٠

كانت « اواى » قد تجسدت له فى هذه اللحظة فى بنات « بيت شـجر الجبل » وفى حقده الأسود الطويل ٠٠ أجهز عليهن واحدة بعد الأخرى !!

فتحت « تسوماكيتشى » عينيهـا مرتجفـة لأصوات الاسـتغاثات ٠٠ وما كادت تحاول النهوض حتى أحست بما يشبه الشلل تتجمد له كل أوصالها ٠٠ فقد انتصب أمامها الزوج شاهرا سيفه الذى يقطر منه الدم

ارادت أن تصيح ·· ولكنها لم تجد صوتها ·· ورفع الزوج سيفه ·· مرة ·· ومرة ·· وتمزقت أوصال « تسوماكيتشى » وغرقت فى بركة من الدماء ··

* * *

كان الصباح حزينا ·· وازداد حزنا وجارة عجوز اقلقهـــا الصمت المطبق الذى ساد « بيت شجر الجبل » ودفعها الفضول أن تذهب الى البيت ·· وما كادت تتقدم الى الداخـل حتى لاحظت علامات الـــدم التى تلوث الأرض ·· وتقودها الى الغرف التى رقدت فيها فتيات الجيشا ·· فاقدات الحياة !··

وتسوماكيتشى ؟··

كانت ترقد فى بركة من الدماء فاقدة الحركة والذراعين

ولكنها لم تفقد الحياة ·· كانت انفاسها الواهنة تعاند الموت وتتعلق بالحياة فى استماتة ··

وهز الطبيب الذى جاء مع رجال الشرطة راسه وهو يتوقع أن تموت « تسوماكيتشى » بين لحظة واخرى ·· ولكن مر اليوم الأول ولم تمت ··

والثانى ··

والثالث ··

وحدثت المعجزة ·· معجزة لارادة الحياة ··

وعاشت « تسوماكيتشى » أو الجيشا فاقـدة الذراعين ·· واصبحت الأعجوبة التى يتحدث عنها الناس ··

وكانت « اواى » قد تركت « بيت شجل الجبل » ··

الذى تحول الى بيت للأشباح واختفت تماما ··

وكان على « تسوماكيتشى » أن تواجه مصيرها وحدها وكان الناس شفقين عليها ·· ويحاولون مساعدتها بقدر الامكان ·· ولكنها كانت ترفض

فى كبرياء هذه المساعدات .. وما كانت جراحها تلتئم حتى عادت تعمل فى بيت آخر من بيوت الجيشا .. ولكن لقبها الجديد .. « الجيشا فاقدة الذراعين » كان يؤلمها .. أكثر من كل الآم جسدها الممزق .. وقررت أن تبدأ صفحة جديدة من حياتها ..

★ ★ ★

تذكرت « تسوماكيتشى » هوايتها القديمة .. الرسم ..

ولكن كيف ترسم بلا ذراعين ؟..

ولكن ارادة « تسوماكيتشى » وقلبها الشجاع فتحا امامها الاصرار والبحث عن وسيلة .. وضعت الفرشاة بين أسنانها .. وبدأت تدرب نفسها على الرسم من جديد .. فى بادىء الأمر كانت المحاولة تبدو مستحيلة تماما .. وكانت النتيجة مثيرة للألم والاشفاق ..

كانت « تسوماكيتشى » قد اطلت من نافذتها تحاول أن ترسم أول أوراق الربيع .. ولكن النتيجة فى لوحتها .. كانت مجرد خطوط خضراء مرتعشة لا معنى لها .. ويوما بعد يوم فى اصرار عنيف .. وأسنانها تقبض على الفرشاة تحرك « تسوماكيتشى » وجهها فى ألم لترسم .. وترسم .. وأخيرا بعد أسابيع من المعاناة اكتملت الشجرة الخضراء بأوراقها الناضرة فى لوحتها .. ولأول مرة بكت « تسوماكيتشى » طويلا .. طويلا !..

وبدأت شهرتها كفنانة ..

وأخذت تساعد من بعيد أمها التى وصلت بها الشيخوخة والصدمات الى نهاية درب الحياة حتى استراحت فى ظلمة القبر !..

وسط وحدة قاسية التفتت « تسوماكيتشى » أخيرا تبحث عن انسان يقف الى جوارها .. كان رساما .. جذبهما حب الفن والطبيعة فى بادىء الأمر .. ولم تتخيل « تسوماكيتشى » أن عجزها الظاهر يعطيها الحق فى الحب مثل غيرها من النساء .. ولكن الحياة كانت قد قررت أن تعطيها فترة من السعادة .. ان وجهها الرقيق .. وجسدها الناحل كانا ينبضان برجفة العاطفة التى انتظرت رغم كل الأنواء ..

وعندما عرض عليها زميلها الفنان الزواج ·· بكت للمرة الثانية فى حياتها ·· واخذ « تسوماكيتشى » بين ذراعيه ·· ورفع وجهها اليه ليسألها ان كانت توافق ·· واختنق صوتهـــا ·· ولم تقـو الا على هز رأسهـــا بالايجاب ·· وتزوجا ··

وأنجبت طفلين ··

وعاشت سعيدة ·· ترسم ·· وتغنى ·· وترعى طفليها ··

ولكن ما حسبته سعادة تعطيها لها الحياة لتعوضها ما فات لم يكن أكثر من هدنة ·· والتقاط أنفاس فى مواجهة مزيد من الألم ··

ما حدث مع أمها ·· تكرر منها ··

خرج زوجها مرة ·· ولم يعد ··

اختار امرأة أخرى ليعيش معها بعيدا ··

ولم تحاول معرفة مكانه ·· أو عنوانه ·· بل لم تحاول أن تحقد عليه أو تطالبه بالانفاق على طفليه ··

عادت ترسم وتبيع لوحاتها فى شجاعة ··

وكبر طفلاها ··

ودخلا المدارس ··

و « تسوماكيتشى » تكافح ·· وتكافح ·· تطبق أسنانها فى عنف على فرشاتها ·· وترسم ·· لم تفقد لوحاتها الجمال ·· أو البريق ·· أو الأمل ·

وظلت الأشجار الخضراء دائما خضراء فى لوحاتهـــا ·· بينما كـان الخريف يسقط كل آمالها فى الداخل ··

ولم تفقد الشجاعة ··

وأصبح طفلاها فى سن الشباب ··

ووجد كلاهما وظيفة مناسبة ··

وذات صباح قالت لهما امهما فى رقة :

ـ الآن يستطيع كلاكما الاعتماد على نفسه ·· واستطيع انا ان احقق حلما طالما تمنيته ··

وعندما سالاها عن هذا الحلم ·· ابتسمت في صمت ولم تفصح ··

★★★

كانت قد ادركت الستين ··

وذات صباح ·· كانت « تسوماكيتشى » تسير تحت اغصان الربيع الى مكان مجهول ··

دخلت ··

ولم تخرج ··

ولم يعرف لها عنوانا ··

كانت قد زهدت العالم تماما ··



رقم الايداع بدار الكتب ٣٨٦٤
الترقيم الدولى ٥ ـ ٠١ ـ ٧٣٥٠ ـ ٩٧٧

دار غـريب للطبـــاعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب ٥٨ (الدواوين) ـ تليفون : ٢٢٠٧٩

بنـات الجيشا

كانت « فوميكو » أو زهرة الربيع ، واحدة من بنات الجيشا .

فى قلبها حنان متدفق ، وفى دمائها مأساة قنبلة هيروشيما .

وذات مساء استطاعت فوميكو أن تنقذ من الموت الفنـان القـادم من الشرق ..

ورحلت عن عالمنا في صمت وبلا دموع !

وفى هذا الكتاب يفتح الكاتب الفنان يوسف فرنسيس قلبه للقارىء .. يحكى له عن فوميكو فتاة الجيشا واخواتها .. ويروى القصص الانسـانية والعاطفية التى جمعها من رحلته الى اليابان ..

انها قصص أكثر غرابة من أى خيال .

ولكنها أكثر صدقا من أي واقع .

عبد الحميد أحمد غريب

الثمن ١٠٠ قرش

دار غريب للطبـاعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب ٥٨ (الدواوين) ـ تليفون : ٢٢٠٧٩